حلوان - المرج

محمود الشنواني

قصص

حلوان - المرج

مجموعة قصصية

محمود الشنواني /طبيب أطفال تخرج فى كلية طب القاهرة عام 1981، له كتابات عديدة غير منشورة، بينها قصص قصيرة و مقالات ثقافية و سياسية، صدر له كتاب فى أدب الرحلات هو "أهلا بكين" سنة 2015 عن دار صفصافة للنشر.

.....

حلوان - المرج
طبعة 2022
رقم الإيـــداع: 2022/4812
الترقيم الدولي: 978-977-821-252-5

جميع الحقوق محفوظة ©
عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

محمود الشنواني

حلوان - المرج

مجموعة قصصية

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

الشنواني، محمود
حلوان - المرج: مجموعة قصصية / محمود الشنواني
الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢
١١٦ ص، ٢٠ سم
تدمك ٥-٢٥٢-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- القصص العربية القصيرة
أ- العنوان

٨١٣,٠١

رقم الإيداع: ٤٨١٢/ ٢٠٢٢

المحتويـــات

7	الإهداء..
9	من أنت؟
13	عطر الوردة
19	النملة
21	الصخرة
27	الغنوة القديمة
31	القطار القادم
33	الدومينو
37	اللقاء الثاني
39	الشركة
47	عامل المصعد
51	البرد
55	التذكرة
59	الصبي الأصفر
61	عاشور قلب الأسد
63	المروحة
65	نظرة
67	يد أمي
71	الكُورَس

77 الأسطى الأستاذ إبراهيم
83 اليوم الرابع
87 المعركة
89 طيري يا طيارة
91 العزاء
93 قضية الساعة
95 بيت المستقبل
99 الحقيبة الخضراء
103 حلوان - المرج

الإهداء..

إلى الأمناء على مسيرة الحضارة الإنسانية.

إلى من تزدهر فى نفوسهم قيم الحق و الخير و الجمال، فتفيض أقوالهم و أفعالهم حقًا و خيرًا و جمالاً.

من أنت؟

لا أدري لماذا جذب انتباهي بشدة عندما رأيته يسير أمامي في الطريق، لم يكن فيه شيء مميز يدعوني للاهتمام به، لكني وجدت بداخلي حماسًا غريبًا أن ألحق به.

أسرعت في مشيتي، حتى كدت أن أمسك بذراعه، فقام بالإسراع أكثر مني، وتباعدت المسافة بيننا من جديد. تساءلت، هل يهرب مني، ثم هزأت من تساؤلي، فهو لم يلتفت وراءه منذ رأيته ولا يدري أنني أتبعه، فلماذا يهرب؟

أصبحت المسافة بيننا ثابتة، أُسرع فيسرع، أتعب فتهدأ خطواته. ازداد عجبي وأحسست أن شيئًا خفيًّا يجمعني به ويبعدني عنه في الوقت نفسه.

وخلت الدنيا إلا من كلينا.

فجأة، رأيته يبصق بصقة مقززة. كثيرًا ما رأيت أناسًا يبصقون في الطريق، كنت أستهجن هذا السلوك، لكن بصقته أثارت بداخلي اشمئزازًا لم أشعر به من قبل، ووجدتني أحتقر هذا المخلوق الهمجي الذي يسير أمامي.

لم أكن أعرف دافعًا للحاق به، لكني الآن تتملكني رغبة جارفة أن أرى وجهه؛ لأنظر إليه باحتقار، فلأسرع.

أسرعت وأسرع، تعثر في حجر صغير، فأمسك به وتصادف أن قطة صغيرة كانت تمر بجواره، وذعرت عندما وجدته يرميها بالحجر بمنتهى العنف، ثم يطلق ضحكة عالية قاسية. هل هذا إنسان؟

عندما أصل إليه، لن أكتفي بنظرة اشمئزاز، بل سأوقفه وأعنفه بشدة وأقول له: أليس في قلبك ذرة من الرحمة؟

لم يفكر أن ينظر وراءه ليرى ماذا فعل الحجر بالقطة، وعندما مررت بجوارها وجدت خيطًا من الدم يسيل من رأسها. قلت: يا للقسوة، والأدهى أنها بلا سبب، يا للإنسان الشرير.

تضايقت من هذه المطاردة الغريبة، وصممت أن أنهي المسألة.

عدوت خلفه حتى أصبحت على بعد خطوات قليلة منه، وتصادف في هذه اللحظة أن مرت فتاة تحمل كتبها المدرسية، فسمعت كلماته الفاحشة لها. ذهلت عيناها وتعثرت خطواتها، وغلى الدم في عروقي، فأمسكت به من الخلف، فاستدار لي.

انتابني الذهول عندما رأيته.

من أنت؟

الوجه وجهي، شعري، عيناي، شاربي، أسناني. حملقت فيه، فنظر لي نظرة غامضة، وابتسم ابتسامة مليئة بالسخرية. من أنت؟ من أنا؟ جف حلقي وجحظت عيناي، استدرت وأخذت أعدو وأعدو. كنت أشعر بأنفاسه تلاحقني، لكني لم أجرؤ أن أنظر للخلف.

عطر الوردة

أطلت علي وردتي المُجففة القديمة في واحدة من لحظاتي الساحرة السحرية.

تلك اللحظات المفعمة بالتألق الذي لا تطفئه قسوة الوعي وقت الصحو، ولا يتوارى خلف ضباب الخيال في وقت النوم.

تلك اللحظات الواعدة بالنشوة والنفاذ إلى جوهر الحياة والتي يمتزج فيها الماضي والحاضر والمستقبل امتزاجًا مدهشًا، وتصل خلالها الروح إلى الأعماق التي تجدها موصدة الأبواب في أوقاتها الأخرى.

هي تلك اللحظات التي أغادر فيها عالم اليقظة، فأطفو قبل أن يداهمني النوم، أو أنسلخ فيها عن النوم، فأهيم قبل أن يقتحمني عالم اليقظة وأقتحمه.

أتعبني عالم الصحو بصخبه وعراكه ومشاكله وحيرته، بناسه وشوارعه ومركباته، بغضبي منه وصراعي معه وهزيمتي أمام أحواله التي أجهضت أحلامي وسخرت من أفكاري وبددت أيامي.

وأتعبني عالم النوم، الذي لا أجد فيه راحةً ولا عزاءً ولا تعويضًا ولا هروبًا مما يصيبني في النهار، ففيه تتشابك متاعبي فتخلق

مزيجًا جديدًا أشد وطأة وقسوة وسخرية، أقابله بمزيج من الصرخات واللكمات والعدو الذي لا أقوى عليه أثناء صحوي، فأستيقظ مرهقًا مشدود الرقبة مُكوَّر القبضتين لاهثًا يغمرني العرق والغيظ.

فقط لحظاتي الساحرة السحرية هي ما تبقيني على قيد الحياة بأنوارها الناصعة وتغريد طيورها وسخاء ينابيعها، تروي ظمأ روحي، فتحفظها من التشقق والذبول.

استيقظت وصورة وردتي القديمة المجففة تحتل المشهد أمام عيني، وتمتلئ بها نفسي، فتحجب كل ما عداها.

عدت إلى تلك الأيام الذهبية، عندما وجدتها أثناء تجوالي في حديقة مهجورة على النيل. ألوانها فريدة يتمايل فيها الأحمر المتألق والأبيض الناصع في دوائر وخطوط أسرني وأشجاني جمالها. اقتطفتها وتشربت عطرها ووضعتها بحرص بالغ بين الصفحات، متأكدًا أنها زادي في المستقبل الذي بدأت تلوح غيومه.

أصابتني الحيرة والغضب من نفسي أن لم أعد أتذكر بين صفحات أي كتاب وضعتها،

وتعجبت كيف أنسي ما لا يُنسى.

لكن حماسًا كبيرًا دق طبوله في أرجائي، فنهضت نشيطًا وعندما أدرت مفتاح المذياع، وسمعت كوكو كوكو في الفجرية

بتغريد فيروزي ونغم درويشي، أدركت أن بشائر حلوة تهل حولي، وليس لي إلا أن ألتقي بها.

فتحت الدولاب القديم المُهمَل، الذي تكومت فيه مئات الكتب التي عشت فيها أيام عمري، والتي تراكم فوقها غبار السنين، أنفضها وأقلب صفحاتها بحثًا عن وردتي.

استوقفني أحدها وأطلت من غلافه وعنوانه ملامح أصدقاء الجامعة القدامى، نجلس في دائرة وهذا الكتاب بين أيدينا، تمتزج نضارة شبابنا بسعادتنا بحماسنا بأفكارنا بمشاعرنا باحتدام مناقشاتنا بأملنا في حياة مختلفة لكل البشر في كل مكان.

انتبهت ليدي المتقلصة على الكتاب، ولوجوه الأصدقاء تقترب حتى تلفحني حرارة وجودها، فريد وحازم وهناء وكمال ونجلاء وعلاء وأحمد.

كم مر من السنين دون أن نلتقي؟ ياه.. كم ابتعدنا عن بعضنا؟ لكن يلاحقني الاستدراك: وهل بعدنا عن بعضنا؟

في أحد الأدراج وجدت فهرس التليفونات، وقبل أن ينتصف النهار، كنّا قد اتفقنا على اللقاء في ركننا القديم في حديقتنا المجاورة للجامعة، وكانت دموع الحزن النبيل تبلل قلوبنا ونحن نتذكر المرحوم كمال.

لكن بين صفحات أي كتاب تنام وردتي؟

رجعت إلى دولاب الكتب، وأخذت في التقاط بعضها وتصفحها بحثًا عن وردتي العزيزة، فإذا بي أمام خط يدي على هوامش تلك الكتب، معلقًا، مؤيدًا، منتقدًا، بالقلم الرصاص أحيانًا أو بأقلام زرقاء وحمراء في أحيان أخرى، بخط واضح أحيانًا أو بخطوط متعجلة في أحيان أخرى، رأيت علامات تنصيص حول بعض العبارات وخطوط تحت بعضها الآخر. عبارات لا تزال تتردد في صدري. رأيت أجزاء نفسي موزعة في تلك الكتب وتلك التعليقات والخطوط، فأخذت صورتي التي شحبت خلال العشرين عامًا الماضية تعود إلي شيئًا فشيئًا.

ناداني مزاجي المنتعش لكوب من الشاي بالنعناع، فجلست أرتشفه على مهل وأنا جالس على الأرض وسط كومة الكتب التي تناثرت حولي. خاطبني وجهي في مرآة ضلفة الدولاب المواربة، فابتسمت له، اقتربت منه وأخذت في تفحصه. ما زالت عيناك تومضان يا صديقي، فلماذا كنت تحدثني بغير ذلك؟

ها هو الكتاب الذي دسسته بعيدًا يواجهني. ارتجف قلبي وأنا أفتح الصفحة الأولى فتتراقص القلوب أمام قلبي، وأنا أقرأ الإهداء الذي أحفظه ولم يكن أبدًا مما نسيته.

(حبي لك هو حياتي. يا حبي ويا حياتي.. هالة).

لم تنتظرنا ولم ترحمنا الحياة يا هالة، حتى يصبح حبنا هو حياتنا، مضت حياة كل منا في طريقها، وكمن الحب شمعة فواحة

صغيرة تجاهد أن تبدد الخواء. في لقائنا الأخير، قبل سفرك إلى الشمال البارد، تكلمت عيوننا كثيرًا وعجزت ألسنتنا عن الحديث. من يدري إن كان ما حدث هو الأفضل لكلينا، فالهواء الذي تنفسه حبنا، لم يعد موجودًا الآن.

لكن أين تختفي وردتي؟

الكتب متناثرة على أرضية الغرفة وعلى السرير، ولا أثر للوردة التي رأيتها هذا الصباح.

ضغطت رأسي بكفي، كأنني أعتصر ذاكرتي لتستدعي تلك اللحظات القديمة التي وضعت فيها الوردة برقة وعناية وأغلقت عليها صفحات كتاب لم أعد أتذكر عنوانه أو شكل غلافه.

انتابني الفزع عندما بدأت ضوضاء الشارع في طرق أذني، بينما أقف حائرًا وسط أكوام الكتب، أتطلع إليها راجيًا أن تمد لي أياديها وأن تدلني على مكان وردتي.

بينما ألملم حزينًا الكتب إلى الدولاب من جديد، لمحت في أرضيته كراس قديم، أخضر اللون ذهبي الحواف. في لحظة التقطته وفي لحظة فتحته على الصفحة المطلوبة بالضبط وفي لحظة وجدتها، وردتي الغالية ذات الخطوط والدوائر الحمراء والبيضاء. تشقق نسيجها المرهف، لكنها ما زالت تحتفظ بهيئتها الرشيقة الفاتنة. شحبت ألوانها، لكن كأن شحوبها أكسبها رقة زادتها جمالًا. أما المفاجأة المذهلة فهي أنني شممت عطرها، نعم

هو عطرها بلا شك، وهل هذا مما يمكن أن يمحوه الزمن أو تبدله الأيام؟

اقتربت أكثر، أتوق لاحتضانها وأخشى أن ألمسها، لكني أتنفسها بكل ما في روحي من قوة وشغف وحنين، فإذا بالعطر يفوح ويفوح ويفوح.

النملة

هو..... ووردة وكتاب.. ونملة.

جاءت من أقصى المنضدة تسعى، نملة مثل ملايين النمل، صغيرة نشيطة. تُرى ما جذبها إلى هذا المكان؟ هل هو عطر الوردة أم كلمات الكتاب أم هو؟!

جاءت كأنها سائرة إلى هدف محدد، طلقة حية صغيرة، حتى وصلت إلى منتصف سطح صفحة الكتاب الذي يقرأه.

نقر بإصبعه نقرة خفيفة على سطح الورقة. فزعت، كأنها لم تكن تدرك وجوده أو لعلها لم تتوقع منه ذلك. دارت وأسرعت إلى طرف الصفحة. فاجأها بنقرة جديدة تسد عليها طريقها. وقفت، لفّت، سارت في اتجاه آخر. نقرة ثالثة، رابعة، عاشرة. احتارت وأطلت نظرات الرعب من حركتها التي أصبحت مترددة متعثرة مرت خلالها على كل سطور الصفحة. تلف، تسير، ترجع، تقف، تلف.

أحاطها بأصابعه التي رأتها عملاقة كالجبال، يعلوها كف يده كقبة شاهقة يشع على حوافها ضوء المصباح. توقفت يده عن الحركة، فسكنت. كالدهر مرت لحظة، لحظتان، ربما دقيقة أو

دقائق. أحست ببعض الأمان، فبدأت تتحرك ببطء، ثم جرت بسرعة تسعى أن تبتعد عن صفحة الكتاب.

يراقبها في صمت وسكون يشمل المكان كله. لا حركة لا صوت لا رعشة ضوء. تنزلق ببطء على جانب صفحات الكتاب، وعندما تصل إلى سطح المنضدة، تنطلق بأقصى ما في طاقتها من سرعة وبأقصى ما في روحها من رعب إلى حافة المنضدة.

أمسك بها بين إصبعين. رفع يده إلى أعلى، فرأت المنضدة من ارتفاع شاهق وأخذت تتساءل عن مصيرها وهي تنظر بخوف وحيرة وترقب للوردة وللكتاب. أنزلها برفق وأرقدها بحنان بين أوراق الوردة، فسرى شذاها في روحها المنهكة وتنفست عبيرًا هادئًا ناعمًا طالما حلمت به.

الصخرة

رمال.. رمال.

تتأرجح السيارة بشدة على الأرض الوعرة الزلقة. تهبط فجأة فتكاد رؤوسنا أن ترتطم بسقفها، وتتمايل فجأة فنتشبث بمقابض أبوابها.

تصفر الرياح، فتخترق أسماعنا، وتثير الرمال، فتغشى عيوننا.

تبدو الصحراء صريحة واضحة، لكنك لا تستطيع فيها أبدًا أن تطمئن لما تراه، فتحت سطحها تكمن الأسرار وتختبئ الحقائق.

في المقعد الأمامي يجلس. لا أرى إلا عمامته الكبيرة شاهقة البياض، لكن يثير سعالي وتهيج صدري دخان سجائره التي لا يكف عن نفثها، ونظراته الغامضة التي ألمحها في مرآة السيارة.

عم صِدّيق. شيخ التنقيب كما يلقبونه. لا تستطيع بعثة آثار محلية أو عالمية أن تتجاوزه، أو أن تفلت من شبكته العنكبوتية.

ظله حاضر دائمًا إذا أردت أن تبحث عن بردية في مخازن الوزارة أو أن تستخرج تصريحًا بالتنقيب، أو أن تُجهز لبعثة أثرية، أو حتى أن ترحل في الصحراء بحثًا عن كشف ما.

بجانبي هشام، هذا الشاب حديث التخرج الذي لا يكف عن طرح الأسئلة ولا يكف عن إطلاق الأفكار، الذي جدد حماسه حماسي وأضاف بريق آرائه إلى خبراتي، وشفيت من إحباطي وتكاسلي بفضل إقدامه وطموحه.

على مكتبي مددنا الخرائط، وأخذنا في وضع العلامات بناء على ما جمعنا من معلومات خلال العامين السابقين في دفتر ملاحظاتنا السرية. ومضت الفكرة مع تلك الإشارة الغامضة في بردية اعتلاء العرش، فتتبعناها معًا، وأدركنا مع الوقت أننا بصدد الكشف عن واحدة من أكاذيب التاريخ الكبرى.

أدركنا ما قد نتعرض له إذا صرحنا بغاية بحثنا الحقيقية، فأعلنّا رواية عادية موازية، تتيح لنا طلب التصريح بالتنقيب في تلك البقعة البعيدة في الصحراء.

همس لي هشام: أنا غير مطمئن لإصرار الرجل على مرافقتنا بنفسه في هذه الرحلة الطويلة، وهو في العادة لم يعد يفعل ذلك.

كنت أنا أيضًا متوجسًا من هذه الصحبة المفاجئة، لكن الأمل الذي بدا قريبًا قد ملأ كياني.

توقفت السيارة، فاستدار عم صِدّيق، وطالعني بنظرة ثعلبية:

حمد الله على السلامة. أتعبتنا وأتعبت نفسك. على أي حال كما تريد. أنا تحت أمرك.

صمت للحظة ثم أردف بنبرة صوت متهكمة: يا باشا.

المعبد على مرمي البصر، تلوح أعمدته شاهقة كأنها تريد أن تطاول السماء. شمس أرجوانية آخذة في الأفول تتخلل الأعمدة، فتصنع لوحة هائلة غامضة من الظلال على سطح الرمال.

نصب العمال الخيام، وبعد قليل خيَّم الظلام وهدأت الأصوات.

أطل وجهه من فتحة الخيمة:

ناما واستريحا. لا تتعجلا. الصباح رباح.

أستلقي على فراشي في الخيمة وعلى الفراش المقابل يستلقي هشام. لا أدري هل هو عاجز عن النوم مثلي، أم أنه سابح فيه يحلم بالغد؟

يخنقني سقف الخيمة الذي يحجب رؤيتي للسماء البهية. أخرج على مهل وأجلس أمام الخيمة. نجوم نجوم نجوم. عباءة سوداء تُرصعها المصابيح. ما أعظمك يا رب الحق والخير والجمال.

أقف بين أعمدة المعبد، شاهقة متينة البنيان، راسخة في الأرض تشق طريقها إلى السماء. أقترب من نقوش العمود الأخير في الناحية الغربية، كلمات هي بالضبط ما أنتظر أن أقرأ عكسه في المقبرة أسفل العمود. هل هو خداع أم حيطة أم ذكاء يمنح الفرصة للحقائق أن تبقى في سلام بعيدًا عن إزميل كشطات الطمس؟ لكن ما قيمة كتابة الحقائق إذا لم تجد من يقرأها

ويعلنها؟

جلست على قاعدة العمود. أعلم أن أسفلي تقع المقبرة. أنبش في الرمال بعصا قصيرة يدهشني وجودها بجوار العمود، فهل سبقني أحد للبحث في الأسفل؟ أنبش أكثر، فتصطدم العصا بصخرة، أرتكز على ركبتي ويتملكني الحماس وأنا أزيح الرمال بكفي. تظهر الصخرة واضحة في ضوء مصباحي. أزيح الرمال عن جوانبها، فتظهر لي صغيرة تغريني بمحاولة رفعها وحدي. أحاول أن أزحزحها. يتصبب عرقي في ليل الصحراء. تتزحزح قليلًا. أمد يدي إلى حافتها وبكل ما أمتلك من طاقة أحاول. تتشنج أصابعي لكني لا أتوقف. ها هي تتزحزح وتميل. أمد يدي إلى أسفلها وأدفعها لأعلى، فتظهر فجوة صغيرة، لكنها كافية أن أنزلق منها إلى الداخل.

وحدي وسط ظلمة استمرت ثلاثة آلاف سنة. قلبي ينبض بسرعة ومصباحي يلهث على الجدران وراء ما سعيت إليه طويلًا.

ها هي. أقرأ وأعيد القراءة. ها هي، واضحة ناصعة جلية. أرتعش وغدًا سترتعش الدنيا كلها وهي ترى وتعلم وتدرك وتواجه ما أراه وحدي الآن. سيعرفون الأكذوبة وسيعرفون الحقيقة.

غبي أحمق جاهل مغرور.

وجه عم صِدّيق يغلق فتحة المقبرة، وعلى ضوء مصباحي رأيت نظرات فيها من القسوة والعنف والغيظ والكراهية ما لم أره في

حياتي كلها.

وفي لحظات كانت الصخرة تسد الفتحة ورمال تنهال فوقها وتتسرب من حولها إلى الداخل.

أدفع الصخرة إلى أعلى، فلا تتزحزح، ويمتلئ الجو بغبار الرمال.

يتردد الصوت الكريه: غبي غبي غبي، لكني أسمع صوتًا آخر، صراخ غاضب: لا لا لا. إنه صوت هشام مدويًا رغم الصخرة اللعينة التي تفصلني عن سطح الأرض.

تأتيني من فوقي دمدمات ووقع أقدام ولهاث ولعنات وصيحات حادة.

أحاول تهدئة تنفسي والمصباح يتنقل بوجل ولهفة وترقب بين الصخرة ونقوش جدران المقبرة.

الغنوة القديمة

أخذوا يتقافزون حولي، أحفادي الغالين، علاء وعمرو وزهرة روحي نهلة. خطواتي المتمهلة لم تعد تسعفني. هم يركضون وأنا خلفهم. أبنائي الأحباء يلهثون وراء لقمة العيش وأنا ألهث وراء أبنائهم في رحلتنا اليومية إلى شاطئ البحر.

وجدت موقعًا مناسبًا، فغرست الشمسية، وعندما أعددت المكان، كانوا هم يتسابقون إلى اللعب في الماء.

ما أبعد المسافة بين السبعين والسابعة. كيف مرت كل هذه السنين؟ في السابعة كنت أسمع أن هناك ترعة واسعة لا تدرك العين مداها اسمها البحر، وكنت أتوق لرؤيتها، لكن آمال المتعة ضاعت وسط آمال أكبر في العلم والدراسة، ولم أرَ الترعة الكبيرة إلا مسافرًا على ظهر سفينة تحملني إلى بلاد الغيوم بحثًا عن العلم. مررت فيها ولم أستلقِ على الشاطئ.

الآن أجلس على الشاطئ أراقب أحبائي الصغار وهم يبنون القلاع الحصينة من الرمال، ثم تأتي موجة غامرة، فتدك الحصون. يزمجرون ويضحكون ويأخذون في البناء من جديد.

مالت الشمس، وهدأ ضوءها الساطع، فاكتسى أحفادي بلونها

الدافئ على بشرتهم السمراء اللامعة بقطرات الماء، وأخذت أعبث بمؤشر المذياع بحثًا عن أغنية تؤنسني.

- جدو ـ جدو ـ جدو.

سمعتها في اللحظة نفسها ثلاث مرات. تحلقوا حولي وأخذوا يجذبونني ويشيرون لمكان ما. التفتُ فوجدت بائع الطائرات الورقية.

ابتسمت وقلت: حاضر.. تعالَ يا بني.

أتى الصبي وقد التفت حول يده عشرات الطائرات ذات الألوان المبهجة. اختاروا ثلاث طائرات. أعطيت الصبي نقوده، ومضى، وبعد أن ابتعد عدة خطوات، ناديته:

- واحدة رابعة.. لو سمحت.

قفز الأولاد: جدو.. هل ستلعب معنا؟

قلت لهم: ولم لا!

سألني علاء: هل تعرف كيف تلعب يا جدو؟ وقال عمرو: سأساعدك إذا لم تكن تعرف، وقالت نهلة: إلى أين ستسافر بطائرتك يا جدو؟

لم أكن أعرف الإجابة، لكن شقاوة الطفل الذي حلم برؤية البحر منذ أكثر من ستين عامًا اشتعلت بداخلي.

قادنا علاء بعيدًا عن الشماسي، ورفع طائرته إلى أعلى ثم أخذ يركض، يترك لها الخيط فترتفع، ويركض أكثر فترتفع أكثر، تبعه عمرو ثم نهلة.

أخذت طائراتهم تعلو وتعلو، كانوا يبتعدون وصوت زقزقاتهم يتردد مع وشوشة الأمواج:

- جدو يا جدو يا أجمل جد، ياللا العب وانسى الجد.

كنت ألهث وأنا أحاول اللحاق بهم، وأخذت طائرتي ترتفع إلى أعلى. كانت طائراتهم قد أصبحت بعيدة وعالية وخيالات أجسامهم تتمايل أمام الشمس الغاربة، وأنا أستجمع أنفاسي وأجري. أنظر لطائرتي التي لم تعلو كثيرًا فرحًا نشوانًا. لم تكن أنفاسي تسعفني للغناء، لكني سمعت غناءً فيروزيًّا بداخلي، يتغنى بالبحر شو كبير والسماء شو بعيدة. غناء كنت أظن أنه ضاع مع السنين.

القطار القادم

بعد عدة مشاوير في وسط البلد، وقفت في ميدان التحرير، الذي أحب مشهده المتسع وأبنيته المُلهِمة ورحابة سمائه وأرصفته وحدائقه وشجن ذكرياته.

هبطت درجات وممرات مترو الأنفاق إلى الرصيف، متجهًا إلى محطة الملك الصالح.

أقف على الرصيف وسط عشرات الركاب في انتظار القطار القادم، وعلى الرصيف المقابل يقف أيضًا عشرات الركاب في انتظار القطار الذاهب إلى محطة الشهداء وما بعدها.

تومض الإشارات الحمراء وتتوالى الإشارات الصوتية على الرصيف المقابل، معلنة عن قرب وصول القطار، الذي يتوقف للحظات ثم يترك الرصيف وقد خلا من الركاب، بينما يستمر توافد الركاب إلى الرصيف الذي أقف عليه، فيصبحون مئات الركاب. أما الرصيف المقابل، فما زال شبه خالٍ.

دقائق وتومض الإشارات الضوئية والصوتية من جديد، ولكن أيضًا على الرصيف المقابل، الذي يخلو تمامًا بعد لحظات، بينما يزداد التكدس على الرصيف الذي أقف عليه. تزداد حرارة الجو

وتزداد علامات الضيق والتذمر بين الواقفين.

للمرة الثالثة يأتي القطار ويذهب في الناحية المقابلة، بينما رصيفنا قد أوشك على التشبع، ووصل المنتظرون إلى حافة الرصيف، وسألت نفسي بقلق إن كان القطار قد يصطدم بالصف الأول منهم عند مجيئه.

الوقت يمر والقطار المُنتظر لا يأتي. يتزايد الضغط وترتفع أصوات الغضب، ويسقط بعض الركاب من الرصيف إلى مسار قضبان القطار تحت ضغط تزاحم الواقفين خلفهم. يعلو الصياح أن هناك حالات من الإغماء وصعوبة التنفس.

من الناحية المقابلة، تظهر قوات الأمن، آتية بكثافة للسيطرة على الموقف. يملؤون الرصيف المقابل ويتراصون على قضبان القطارات في الاتجاهين.

الآن يقف بين الرصيفين مئات من الركاب وقوات الأمن، متواجهين ومتداخلين، وعاجزين عن التحرك.

فجأة يرتفع صوت الإشارات الصوتية، وتومض الأنوار الحمراء. هذه المرة على الرصيفين في الوقت نفسه، معلنة عن وصول قطار من كلا الاتجاهين.

يستمر الصياح والسباب وتلويحات الغضب، بينما تعلو وجوه قلة من الموجودين علامات الرعب من الكارثة التي أصبحت على وشك الحدوث.

الدومينو

أقسم بالله إنني لا أتحمل أي ذنب فيما حدث.

المشكلة ان النادل فعل شيئًا لا أستطيع أن أقول إنه خطأ تمامًا، لكنه فعله في توقيت سيئ للغاية.

لماذا رفع فنجان قهوتي في تلك اللحظة بالتحديد؟

كل أصدقائي ومعارفي يعلمون أنني أتناول القهوة، ليس لأنني أحب مذاقها، بل لاستمتاعي الكبير باستنشاق ما يتبقى منها في الفنجان بعد ارتشافها.

في تلك اللحظة المشؤومة، وضعت الفنجان على المنضدة، لأمسك بهاتفي بلهفة عندما رأيت الرقم المُنتظر، فإذا بي أتلقى الخبر الصادم بينما عيني لا تستطيع أن تهرب بعيدًا عن الإعلان التلفزيوني الذي كأنه صُنع خصيصًا لاستفزازي، وأدبدب بقدمي تهربًا من احتقان المثانة المفاجئ الذي ينهش أسفل بطني.

فلماذا رفع النادل فنجان قهوتي في تلك اللحظة بالذات؟

لم أفعل شيئًا. أقسم بالله إنني لم أفعل شيئًا. فقط نظرت له ساخطًا.

كاد أن يقول شيئًا، ربما اعتذار بسيط كان سينهي الأمر كله، لكن جسده كان أسرع من كلماته فتراجع إلي الخلف وانزلق، وأصبح طبق سلطة الفواكه المغطى بالكريم شانتيه، من نصيب الفستان الأصفر الأنيق والذراع الوردية البضة للجميلة التي خلبتني منذ جلوسي على المنضدة المقابلة لها.

سرعان ما قام الشبان الجالسون في الركن البعيد. أحدهم مد يده إلى النادل الذي كانت شفتاه ترتعشان بقسوة، وأخذ يربّت على كتفه مهدئًا، أما صديقه ذو العينين الخضراوين، فكان يربّت على ذراع الجميلة التي انتابتها نوبة بكاء لم يقوَ قلبه الشهم على تحملها، فأمسك بمنديل ورقي وأخذ ينظف طرف الفستان الأصفر الأنيق من بقايا الموز والفراولة والكريم شانتيه.

الساعة الموضوعة على الحائط المجاور كانت تشير إلى السادسة تمامًا، وصديق الجميلة رجل شديد الدقة، جاء في الوقت المتفق عليه بالضبط، وفتح باب الكافيتريا العريض ووقف مزهوًّا ببدلته الرمادية الفاخرة وبرابطة عنقه الحريرية الحمراء، وهو يتلفت بابتسامة عريضة وعيون عاشقة بحثًا عنها، فوجد في عينيها بقايا دموع ونظرة امتنان للشاب أخضر العينين الذي يمارس مهمته في تنظيف فستانها بمنتهى الإخلاص.

الركلة العنيفة التي ركلها الرجل الأنيق صديق الجميلة ذات الفستان الأصفر، للشاب الشهم أخضر العينين الذي لا يقوى على رؤية دموع فتاة فاتنة، كانت كفيلة بارتطامه بالمنضدة البعيدة

التي لم يكن يجلس حولها أحد لحسن الحظ، أما سوء الحظ فسببه أن الشاب الشهم أخضر العينين له غلاوة خاصة في قلب صديقه مفتول العضلات، الذي رج المكان بصيحته الغاضبة التي رافقتها لكمة سال على أثرها خيط من الدم انزلق من أنف الأنيق صديق الجميلة ذات الفستان الأصفر، وأخذ ينزل ببطء وثبات على بذلته الرمادية الأنيقة وعلى الحائط الفستقي الذي ارتطم به رأسه.

لكن الغريب أن صيحة الشاب مفتول العضلات لم تكن هي الأعلى، بل صراخ طفلين صغيرين كانا في صحبة أبيهما وأمهما. أحاطت الأم البدينة طفليها بذراعيها، أما الأب الذي كان يضع قبعة غريبة الطراز على رأسه، فأخذ يروح ويجيء ويروح ويجيء، ينظر هنا وهناك ويسب الكافيتريا وصاحب الكافيتريا والرجال والنساء والتاريخ والجغرافيا، ثم عاد إلى زوجته وطفليه وأمسك بهم متجهًا إلى الباب.

أخذ يشد باب الكافيتريا يريد فتحه، فلا يستجيب له ويزداد انغلاقًا، يطرقه ويشده وما زال مغلقًا. صاح أحد رواد المكان القدامى أن الباب يُفتح بالعكس، لكن الأب ذو القبعة الغريبة كان أسبق إلى الكرسي بجوار المنضدة المجاورة للباب، وبأقصى ما امتلك من قوة كان الكرسي يخترق زجاج الباب فيكسره.

الكرسي الذي اخترق الزجاج، والزجاج الذي تناثر إلي شظايا كان من نصيب ثلاثة صبية بائسي المظهر كانوا ملتصقين بزجاج

باب الكافيتيريا، لمشاهدة هذه المسرحية المثيرة حريصين ألا تفوتهم أدق التفاصيل.

اندفعت خارجًا، أخطو بسرعة رغم ارتجاف ساقي، غير راغب في النظر للخلف، يتملكني الحزن والقهر وتهزني الحيرة وأسأل وأجيب وأكرر الإجابة، أنا لا أتحمل أي ذنب فيما حدث، أنا لا أتحمل أي ذنب فيما حدث.

اللقاء الثاني

أجلس على مقعد في واجهة المقهى مساء يوم حار، أرتشف الليمون بالنعناع على مهل، فلم يعد يشغلني شيء.

تهل نسمة طرية ترطب الجو.

من هذا؟ معقول! هل هو عاطف شهاب؟

لم أره منذ أربعين عامًا، لكن ملامح القادم هي بالضبط ملامح صورته الباقية مع أصدقاء الجامعة في رحلة الأقصر وأسوان.

ما أجمل السعادة التي تأتي بغير توقع.

تلفَّتَ القادم في أرجاء المقهى ويبدو أنه لم يجد مكانًا للجلوس إلا المقعد المجاور لي على منضدتي.

- المكان مزدحم، هل تسمح لي بالجلوس؟

ابتسمت مجاملًا وأنا أتفحص تقاطيع وجهه بلا جدوى.

- تفضل.

وهو ينفس دخان شيشته قال لي :

اعذرني، عندما رأيتك ذكرتني بصديق قديم عزيز له نفس ملامحك، لكن عندما اقتربت منك، وجدت أنك لست هو.

ازددت دهشة وقلت: يا لها من مصادفة!

جلسنا وتحدثنا وشرَّقنا وغرَّبنا، وحكى كل منَّا عن صديقه القديم الذي خُيِّل إليه أنه الآخر.

قهقهنا كثيرًا ودمعت أعيننا أحيانًا.

غادرنا المقهي سويًّا وتصافحنا بمودة.

وعاد كل منَّا إلى بيته.

الشركة

أجلس في بيتي وحيدًا. زوجتي رقية في عملها المسائي في مكتب المحامي، وسمير ذهب لمدرس الكيمياء، فقد اقترب موعد امتحان آخر العام، وهدى لم ترجع بعد من زيارة صديقتها المريضة.

أحاول أن أقتل الوقت، خوفًا من أن يقتلني. أفعل أي شيء ولا شيء. يشدني عقلي وروحي المختنقة إلى مشاكل البيت والعمل والنقود والنزاع حول الميراث وصخب الشارع الذي لا يطاق، فأهرب إلى الريموت كنترول، أقلب قنوات التلفزيون بسرعة وعصبية.

طرقات خفيفة على الباب.

أفتح الباب، فأطالع وجهًا يبدو مألوفًا لي، رجل متوسط العمر تتوسط وجهه نظارة شمسية، يرتدي جاكت سماويًّا تحته قميص أبيض دون رابطة عنق، أما البنطلون فلا أدري إن كان أسود أو بنيًّا أو كحلي اللون. ملابس بسيطة الطابع، لكنها مهندمة. ترتسم على وجهه ابتسامة مهذبة.

سألته: أي خدمة؟

مد يده إلي نظارته، فخلعها وخفض رأسه باحترام وقال بصوت خفيض:

- بل أنا هنا لتقديم الخدمات، أنا مندوب شركة الخدمات العامة.

تعجبت، وقلت له:

- لكني لم أطلب أي خدمات، شكرًا لك.

رفع رأسه واتسعت الابتسامة المرسومة على وجهه، وقال:

- هل هناك من لا يحتاج لخدمات! نحن نقدم خدماتنا في كل مجال، وستجد أن التعامل معنا مفيد للغاية.

في العادة لا أستجيب أبدًا لملاحقات مندوبي المبيعات، سواء اتصلوا تليفونيًّا أو قابلتهم في الطريق، لكني كنت أرغب في الونس وتمضية الوقت بعد أن نفذت حيلي المتكررة لقتله، كما أن الرجل وحديثه أثارا فضولي.

- تفضل.

دخلنا. جلسنا على مقعدين متقابلين في الصالة، وبيننا منضدة صغيرة.

بسرعة وجدت عدة أوراق تزحم المنضدة، وأخذ يعرض علي خدمات شركته.

- نحن مستعدون لكل شيء، تخليص أوراقك وإجراءاتك في أي مكان، متابعة أي قضايا أنت طرف فيها أو حتى لست طرفًا فيها، حراسة المباني والأشخاص، توصيل أي سلع من أي نوع من المتاجر إلى منزلك، مساعدة أبنائك للنجاح في دراستهم، توظيف من لا يجد عملًا، وأيضًا التعامل مع من يزعجونك من الجيران أو الأقارب أو زملاء العمل.

تلبدت نفسي بالحيرة والقلق والدهشة.

- أشكرك، فأنا لست بحاجة لهذه النوعية من الخدمات، كما أنني لا أملك ما أدفعه مقابل ذلك، فالحال مستورة بالكاد والحمد لله على كل حال.

ابتسم ابتسامة عريضة اختفت بسرعة وحلت مكانها نظرة ثابتة محايدة، وقال:

- أولًا، ليس هناك من لا يحتاج لخدماتنا، أما عن المقابل، فنحن لن نطلب منك أي نقود، فلن نطلب منك مقابل خدماتنا اللامحدودة لك، إلا أن ترشدنا إلى خمسة من معارفك لنتعامل معهم ونخدمهم كما نخدمك، وإلا أن تكون مخلصًا في ذكرنا بالخير وسط معارفك. نحن طيبون مثلك أيها الرجل الطيب؟

رغم التوجس، وجدت أن المسألة جديرة بالنظر، فما أكثر ما أحتاجه من تلك الخدمات.

فطن إلى ما يدور في رأسي، فاعتدل وفتح ملفًا أمامه وقال لي:

بطاقة الهوية من فضلك.

دخلت إلى غرفة نومي، وأحضرت بطاقة الرقم القومي، وأعطيتها له.

وضعها في الملف، ثم قال بصوت معدني:

شهادة مؤهلك الدراسي.

بينما كان ينظر إلى البرواز القديم المعلق في جانب الصالة، حتى أصبحت لا أراه لاعتياد وجوده. كانت شهادتي الجامعية التي انتقيت لها هذا البرواز باعتزاز كبير يومًا ما، ليسانس آداب، قسم الاجتماع، دور يونيو 1995.

وضعت البرواز أمامه، فانتزع الورق المُقوى من الخلف وأخرج الشهادة ووضعها في الملف.

أصابني غيظ شديد ودهشة أشد.

ماذا تفعل؟ هذه أوراقي الشخصية، خذ ما تشاء من بيانات، لكن لا تقترب من الأصول.

نظر لي بطريقة غريبة لا أستطيع وصفها، ففيها تهديد وتحدٍّ وفيها شفقة وربما ازدراء. سرعان ما اختفت تلك النظرة واختفت ملامحه وراء قناع لا يُظهر شيئًا.

لا تقلق. قلت لك إنني هنا لخدمتك، أليس كذلك يا رجل يا طيب.

ثم قام وخلع الجاكت الخفيف الذي يرتديه، استدار ليضعه على ظهر المقعد، فظهر مسدس صغير ملتصق بجانبه الأيسر.

تصببت عرقًا، وأدركت أنني في مأزق خطير.

تأرجح بالمقعد وهو يتنقل ببصره في أرجاء البيت، تنطق ملامحه بخليط النظرات المريب للحظات، ثم تستقر قناعًا جامدًا للحظات. لحظات ولحظات بدت لي كأنها الدهر.

تجول بصره في سقف الغرفة الذي تقشر طلاؤه وقال دون أن ينظر لي:

نحن نستطيع أن نحل مشكلة ترقيتك المتأخرة بسبب ناظر المدرسة الفاسد، فنحن لا نحب الفاسدين، ويمكننا أيضًا أن ننقل ابنك إلى مدرسة أخرى تناسب تفوقه الذي نفخر به كما تفخر به أنت وأكثر.

ثم وجّه سبابته في اتجاهي.

نحن لا نرغم أحدًا على شيء، ولكنك تحتاج إلى خدماتنا.

لم أنطق، فما زلت في غاية الخوف والتوجس وعدم الفهم.

وأيضًا، إذا أردت بالطبع، يمكن أن نتدخل لحل مشكلة الميراث مع أعمامك، سنستعيد لك حقك المهدر بالمحاكم أو دونها، أنت مظلوم ونحن ننصر المظلومين ونكره الظالمين.

سكت برهة، فهممت بالكلام، لكني لم أعرف ماذا أقول، فآثرت

الصمت.

هناك شيء آخر، أعتذر عن ذكره، لكننا الآن أصدقاء وشركاء، ولأننا نتمسك بالقيم والأخلاق الكريمة، فلا بد أن نخبرك أن المحامي الذي تعمل زوجتك في مكتبه يتحرش بها.

أصابتني رعدة.

أرجوك، لا تنفعل ولا يجمح خيالك. زوجتك سيدة فاضلة ونحن نعلم ذلك جيدًا، ونعلم أنها صدته بكل حزم، لكننا لا نرضى بهذه السفالات ونعرف كيف نتعامل مع السافلين.

سكت للحظة، ثم استأنف:

لك كامل الاختيار، إما أن نؤدبه أو أن نجد لها عملًا في مكان آخر، لأننا نعلم أن عملها الإضافي لا غنى عنه للأسرة.

ثم فجأة اكتسى صوته بحنان فياض:

لماذا لا تنتظم في تعاطي دواء ضغط الدم؟ لو لم تكن قد نسيته اليوم وأمس، لما ارتفع الآن على هذا النحو الذي يظهر في احمرار عينيك ووجنتيك والعرق الذي يتصبب من رأسك وعنقك. صحتك تهمنا يا رجل يا طيب.

كنت قد تهاويت تمامًا.

من أنتم؟

ألم أقل لك قبل أن ترحب بي في بيتك، أنا مندوب شركة الخدمات

العامة.

قام وأعطاني ظهره، فارتعشت. تمشى بضع خطوات في الغرفة ثم عاد لمقعده.

- والآن يا رجل يا طيب، الأمور واضحة، فدعنا لا نضيع الوقت، فأمامي عمل طويل. أريد بطاقتك التموينية، وكارت الصراف الآلي الخاص بك، ولا داعي للبحث عن كارت زوجتك، فهو معها الآن.

كالآلة سرت إلى غرفة النوم، وكالآلة فتحت الدولاب، وكالآلة سحبت الدرج الذي أحتفظ فيه بالأوراق. وبينما ما زلت أبحث عما يريده بيد مرتعشة، سمعت صوته الآمر:

- ولا تنس عقد الزواج وشهادات ميلاد سمير وهدى، وكذلك "القايمة" التي أجبرك أبو رقية رحمه الله على كتابتها قبل الزواج.

مسلوب الإرادة تمامًا، قدمت له كل شيء، فوضعه في الملف.

ابتسم بمودة بالغة وهو يداعب ذقنه بأطراف أصابعه.

- والآن ما هي الخدمات التي تريدها منا؟

- لا شيء. لا شيء. شكرًا.

كان ذهني فضاءً شاسعًا، وصارت أعز أمنياتي أن ينتهي هذا الموقف.

- على أي حال، نحن نعرف مشاكلك جيدًا، وسنحلها لك بطريقتنا. لا تنشغل كثيرًا، وستجد أن كل ما يسبب لك الهموم قد زال، فكما قلت لك، مهمتنا أن نخدم الناس بلا حدود.

قال ذلك وهو يلملم أوراقه. نهض متجهًا إلى الباب، وأنا متسمر في مكاني مذهولًا.

فتح الباب، وقبل أن يغادر نظر لي نظرة طويلة غامضة.

من مكاني في الصالة، غير قادر على الحركة، وغير قادر على الفهم، كنت أسمع طرقات على باب الشقة.

نهضت لأرى ما يحدث. حاولت أن أفتح الباب، فلم أستطع. نظرت من العين السحرية، فوجدت شخصين يقومان بسد الباب من الخارج بقطع خشبية طويلة، وهو واقف خلفهما. لمح عيني، فوضع إصبعه على العين السحرية من الخارج.

هرعت إلى الشرفة، لأستعين بالجيران والمارة، فوجدت باب الشرفة وكذلك النوافذ مغلقة بنفس الطريقة. وبينما أدور بين حجرتي الشقة والصالة والمطبخ والحمام كالمجنون، انقطع التيار الكهربائي، وغرق البيت وغرقت في ظلام دامس. صرخت بأعلى صوتي. لا أدري هل انطلق صياحي من حنجرتي أم لم ينطلق، فيبدو أن أحدًا لا يسمعني.

عامل المصعد

أهبط. أصعد. لكني لا أهبط ولا أصعد، أنا أسير هذا الصندوق الذي يهبط ويصعد، واحد من أزراره المعدنية اللامعة. زر يفتح الباب، يمتلئ، يصعد، يقف، زر يفتح الباب، أناس يدخلون ويخرجون، كل له مكان آتٍ منه ومكان ذاهب إليه أما أنا فمكاني ثابت بجوار لوحة الأزرار.

صندوقي هذا واحد من خمسة صناديق في العمارة الكبيرة، أدوارها الثلاثة الأولى مكاتب وعيادات، وفوق ذلك شققها الفاخرة. عندما قُبلت كعامل مصعد، أحسست أن الدنيا الواسعة تنفتح أمامي، عمارة شاهقة وأناس لامعون، راتب ثابت وإكراميات سخية، لكني وجدت أنني أشاهد على الدنيا الواسعة من فتحة الباب الضيق الذي يُفتح لثوانٍ، ثم يُغلق من جديد. يصعد الصندوق ويهبط، ينفتح الباب وينغلق، فلا أرى إلا ومضات من العالم الآخر.

المصعد به مرآة، تحاول أن تعطيه حجمًا أكبر من حجمه الحقيقي، وفي بعض الأوقات ألمح فيها نظرات متبادلة من وراء ظهور الآخرين بين رجل وسيدة، أو لفتة سريعة من شاب يتأكد من أناقة هندامه،

أما بالنسبة لي فهي رفيقتي التي أحاول أن أرى فيها نفسي، أقترب منها، أسألها عن شحوب وجهي، عن نظرة عيني، عن الشعر الأبيض الذي ظهر مبكرًا في شاربي، أكلمها وتكلمني، ولكن غالبًا ما يقطع حديثنا غريب يُوقف المصعد، يفتح الباب ويدخل ويقتحم خلوتنا.

عندما يتوقف المصعد في الدور الأرضي، أنتهز الفرصة، أخرج منه، أقف على الأرض الصلبة التي لا تتحرك للحظات، يتصور القادمون أنني أقف تأدبًا خارج المصعد حتى يدخلوه، لا يعلمون أنها لحظات أقتنصها من الحياة خارج الصندوق.

في بداية عملي كان الإعياء يتملكني تمامًا آخر النهار، مئات المرات من توقف المصعد وحركته، من انفتاح الباب وانغلاقه، مئات الوجوه، كم هائل من الأزياء والعطور والكلمات المتناثرة تقتحم حواسي، أحاول أن أستوعبها، أن أختزنها، أُركّب منها أحداثًا أطلق فيها خيالي بعيدًا عن صندوقي الصغير. عندما تعودت على العمل، ذهب الإعياء لكن الرغبة في الاستكشاف كانت قد ذهبت هي أيضًا، أصبح الكل أجسادًا يمتلئ بها المصعد ثم يفرغها على مراحل في الأدوار المتتالية، وأصبحت الساعة هي رفيقتي التي ترهقني ببطء حركة عقاربها، أتعجل انتهاء موعد العمل حتى أستطيع التنفس.

كل يوم بعد انتهاء عملي، أخرج من صندوقي الضيق، أتسكع في الشوارع الغاصة بالمارة والسيارات، ثم أندس في الأتوبيس حتى أصل إلى شقتي الصغيرة في إحدى شوارع إمبابة الضيقة.

اليوم، خطرت لي فكرة، تعجبت أنها لم ترد على بالي طوال الأشهر الطويلة الماضية. بعد انتهاء عملي، صعدت بالمصعد إلى آخر دور، الدور الثلاثين، فتحت الباب وخرجت، وتركته يهبط وحده، ثم صعدت على السلم إلى السطح.

وقفت مشدوهًا على عتبة باب السطح، كأني أرى السماء لأول مرة. لم أرها من قبل بهذا الاتساع، كنت دائمًا أرى جزءًا من السماء، لكنها الآن ملء العين والفؤاد، لا يشوبها صوت ولا ضوء من الأرض. على السطح المرتفع، توارت المدينة، الأصوات والأضواء والحركة الدائبة، النجوم تتفتح في السماء كباقة ورد يتلألأ، والقمر يرنو إليّ في ترحاب، أحسست صدري يتسع، فأخذت نفسًا عميقًا، وقلت: آاااااه، طويلة مديدة عريضة عميقة.

نظرت للمدينة الصاخبة من ارتفاعي الشاهق، أضواء الشوارع تصنع سلاسل من النور، النيل يشق المدينة التي لا يصلني منها إلا أصوات خافتة، آلاف البيوت والسيارات والناس، بعيدون، يصنعون لوحة كأنني أراها من وراء ستار، أحسست بحب كبير لكل شيء، للسماء بقمرها ونجومها ولمدينتي بناسها وبيوتها وشوارعها.

وسمعت صوتًا شجيًّا آتيًا من بعيد، حاولت أن أتبين مصدره، لم أستطع، لكنه كان يقترب، يعلو، يحيطني ويملأ الهواء حولي، اكتشفت أنه صوتي وأنني أغني وأرقص وأعانق الكون الفسيح.

البرد

شهر طوبة وأنا لم أعد شابًّا.

الليل طويل والراديو وأكواب الشاي لا تستطيع أن تؤنسني ولا أن تدفئ مفاصلي المنكمشة.

يعاقبون موظفي القاهرة بالنقل إلى الصعيد، أما أنا فعقابي كان النقل إلى القاهرة! راتبي لم يكن يتحمل أعباء معيشتنا المتواضعة في أسوان، فكيف سيواجه محنة التشتت؟

لم ترحب بي القاهرة ولم تصدني. تركتني ضائعًا بلامبالاة. كان وصولي إلى محطة قطارات القاهرة حدثًا جللًا لي لم يشعر به أحد سواي.

في الأيام الأولى جربت اللوكاندات الفقيرة، لكني كنت أفقر منها، فانتقلت إلى هذه الغرفة على سطح عمارة شاهقة الارتفاع بالقرب من عملي.

حاولت أن أمد يد الود لزملاء العمل، لكن يدي ظلت معلقة في الهواء. مشغولون بمؤامراتهم الصغيرة التي لم أجد لنفسي مكانًا

فيها، لكن هذه المؤامرات أبعدت الشخص الوحيد بينهم الذي وجدت أملًا أن أفتح له قلبي، فقد نُقل إلى أسوان!

أما سكان العمارة، فلا أراهم إلا راكضين، ويبدو أن سكان الشقق لا يتوقف نظرهم أصلًا لرؤية ساكني السطح. الوحيد الذي تنتعش روحي لرؤيته هو عم صالح بائع الصحف. لا يكبرني كثيرًا، لكن كد الحياة جعله يبدو في سن أبي. عندما لمحني لأول مرة، صافحني بدفء وقال: أهلًا بالأسوانية. تعجبت لحرارة اللقاء، لكنه بادرني: في شبابي عملت في السد العالي، وأعرف أهل أسوان من عيونهم وبسمتهم، أطيب ناس، أنا في خدمتك.

تمضي الحياة في النهار، لكن الصعاب تتجمع في الليل مع الوحدة والبرد. أستدعي حضن جميلة الدافئ، أضمها إلى صدري، لكنها تفلت مني، تبتعد ملامحها كأن ليس بيننا عِشرة سبعة عشر عامًا. أُقبّل ناصر عندما يعود من المدرسة وأرقب شقاوة مجدي، أما حبيبة الجميلة التي جاءت دون ميعاد لتجدد وتبهج حياتنا، فهي في حضني، أشم رائحة جسمها الطري الضئيل، ترى هل ظهرت أسنانها الأولى؟

يبتعدون عني. يفلتون من عيني. بيني وبينكم تذكرة قطار لن تكون ممكنة قبل عدة أشهر. دور آخر من الشاي. البرد اليوم شديد. صفير الهواء موحش، وزخَّات المطر لم تنقطع منذ الصباح.

صوت غريب. أغلقت الراديو وأرهفت السمع، فلم أتبين شيئًا،

وتكاسلت عن القيام من تحت الغطاء. لكن الصوت عاد. من سيصعد للسطح في هذا الوقت؟ من يمكن أن يأتي لي أصلًا، فحتى عم صالح لا يعرف عنواني.

بدأت أميز الصوت أكثر. نزلت من سريري واقتربت من الباب. الصوت يتضح، يقف أمام الباب مباشرة، إنه مواء، إنها قطة. فتحت الباب، مرقت قطة بلدية مشمشية اللون للداخل، دارت بسرعة في الحجرة تشمشم في أركانها، ثم خرجت وعادت وفي فمها قطيطة صغيرة، مغمضة العينين. وضعتها في أحد الأركان، وأسرعت للخارج تُحضر أخواتها حتى اكتملت الأسرة الصغيرة، الأم وخمس قطيطات.

امتلأت حجرتي بدفء الحياة. تقاسمت رزقي القليل معهم وعرفت الطريق للجزار واللبَّان. في النهار يمرحون في الشمس على السطح وفي المساء أراقب ألعابهم التي لا تنتهي. أشاركهم فيها وأرنو بحب لأمهم وهي ترضعهم وتنظفهم بلسانها الوردي الصغير، وعندما يأتي الليل، نتكوم جميعًا تحت الغطاء، يدفئ بعضنا بعضًا.

التذكرة

أهيم على وجهي في شوارع القاهرة. تضعضعت روحي ووهن جسدي. تعبت وبدت لي الأيام التي كنت فيها موفور النشاط والحماس والأمل كخيالات بعيدة، بل أصبحت سببًا إضافيًّا للألم وليست عونًا على التغلب عليه.

فوجئت أن قدمي قادتني إلى حديقة الخالدين، التي شهدت شقاوة طفولتي ومغامرات صباي وصبوات شبابي.

فوجئت أيضًا بتلك السنوات الطويلة التي مرت دون دخولها، بعد أن كانت جزءًا أساسيًّا من أيامي.

لعل هذا العزوف قد بدأ، عندما تم بناء ذلك السور الأسمنتي القبيح حولها، بعد أن كانت مفتوحة لكل العابرين في الطريق، يخطون إلى قلبها من الشارع مباشرة دون حواجز. وعندما فاح قبح ذلك السور، أخفوه وراء لوحات وشاشات الإعلانات الملونة الطافحة بالزيف والأكاذيب.

عزفت عن دخول الحديقة، بل تجنبت حتى المرور بجوارها، لكن، يا للعجب، ها هي قدماي تقوداني إليها من جديد، دون

تدبير أو تفكير.

من الشباك اشتريت تذكرة للدخول، ومن الباب الضيق دخلت إلى غرفة صغيرة، فوجدت أمامي رجلًا بزي أسود، فحص التذكرة بدقة ثم أمرني بالعبور خلال بوابة إلكترونية وأخذ يتفحص ملابسي وحقيبتي باهتمام بالغ.

أشار لي بالدخول، فخرجت من الحجرة الضيقة إلى فضاء الحديقة الواسع.

تتلفت عيناي في كل اتجاه بحثًا عما عشته وألفته، فلا أجد إلا بقايا، بقايا الأشجار، بقايا أحواض الزهور، بقايا الأرائك الخشبية، بقايا الجداول المائية وجسورها الصغيرة.

أسر تفترش الأرض وسط صخب الأطفال والأغاني الزاعقة، وعشاق يبدون لي هاربين من الحياة لا مقبلين عليها، وآخرون فرادى مثلي يتجولون أو يستلقون على الأرض ووجوههم إلى السماء التي توشك على المغيب.

ألمح من بعيد مكانًا مختلفًا. كلما اقتربت منه تتضح لي الأشجار الزاهية المرتفعة وأسمع تغريد الطيور وأشم رائحة الزهور. يتضح لي أيضًا السور الذي يلف المكان ويقف أمامه صف من أصحاب الزي الأسود.

- ممنوع.

ونظرة آمرة قاسية، جعلت ظهري لتلك الجنة المُسوَّرة، وأسرعت بساقي بعيدًا إلى بقعة نائية من حديقتي التي كانت.

أستلقي على الأرض، جاعلًا من حقيبتي الصغيرة التي تحتوي مسودات أشعاري مسندًا لرأسي. رؤية السماء قبيل الغروب في يوم خريفي تستخرج الشجن والعذوبة من قلب تدغدغه الذكريات، يشرد، يرتعش، يبتسم، ينشج في حزن رقيق، يستدعي الأطياف ويتمنى لو توقف تيار الزمن.

أحس بحضور ثقيل وأصوات زاعقة حولي. أهم بالجلوس فتطالعني ثلاثة شوارب غليظة وأعين تعلن عن صرامتها وتحفزها.

- أين تذكرتك؟

متعجبًا وساخطًا، أخرجت تذكرتي من جيب قميصي. نظر كبيرهم إليها بعدم اكتراث.

- إنها مُزوَّرة.

- كيف تكون مُزورة وقد اشتريتها من شباك التذاكر ورآها الموظف المختص قبل دخولي؟!

مضى دون النظر لي وقال:

- عندما أقول أنها مزورة، فهي مزورة.

أحاط بي ذراعان قويتان وحولي وجدت كثيرين مثلي محاصرين بأصحاب الزي الأسود، وتتردد الكلمات متناثرة:

- أقسم بالله إنها من الشباك.

- اصمت.

- ولماذا نُزوِّرها؟ وكيف نزورها ؟

- اخرس يا لص.

تم تجميع رواد الحديقة في أحد الأركان وحولهم سياج من أصحاب الزي الأسود. حيارى وساخطين وخائفين، يرفعون التذاكر إلى أعلى، يهمهمون تارة ويسكتون تارة، أصوات منكسرة وأصوات غاضبة، يتجمع بعضهم في دوائر صغيرة، وينفرد البعض بنفسه. أما السياج فلا يتحرك ولا يتململ ولا يتحدث.

غابت الشمس وزحفت الظلمة على المكان، فلا أضواء في الحديقة، وأضواء الشارع بعيدة لا تستطيع أن تصل من خلف السور المرتفع.

مع الوقت يزداد الظلام كثافة، حتى إنني لم أعد أستطيع أن أرى من حولي أو أن أرى أصحاب الزي الأسود.

أتشبث بحقيبة أوراقي، بينما أصابعي مُتشنجة على تذكرة الدخول.

محا الظلام كل شيء وتساوي كل شيء.

الصبي الأصفر

كانت دمعة فراق أمه ما زالت ندية في عينيه، تركته في المستشفى الكبير على أمل الشفاء بعد رحلة مضنية بين الوحدة الصحية والمستوصفات وبعض العيادات الخاصة.

ابتسم للممرضة رغم الدموع، وقال لها: لا تخافي، لوني أصفر لكن قلبي أبيض وصوتي جميل وسأغني لك مثل محمد منير.

دخل العنبر، فصمت الصبيان والبنات، هالهم الوجه الأصفر والعيون الصفراء، فانسحبوا في هدوء وتكتلوا في الركن الآخر.. بعيدًا عنه.

نظر لهم في ود، لكن أحدًا لم يرد.

وعندما حان وقت الطعام، تجمعوا في حلقات لم يجد لنفسه مكانًا فيها، فجلس على سريره وأخذ يأكل في صمت.

وعندما كنت على وشك النوم ليلًا بعد انتهاء نوبتجيتي في حجرتي الملاصقة للعنبر، سمعت نغمًا بعيدًا، اقتربت فأخذ اللحن الشجي يتسلل إلى أذني، نظرت بحذر من خلف الستارة، أخشى

أن أفسد الأغنية.

كان الصبي الأصفر واقفًا على سريره، وكل الصبيان والبنات، جالسين في دوائر حول السرير، وكان الصوت العذب يشدو:

سالمة يا سلامة .. رحنا وجينا بالسلامة.

فيرددون وراءه: آاااه.. يا سالمة يا سلامة.

عاشور قلب الأسد

سألت زميلي في مستشفى الأطفال: هل حدث تعديل في نظام علاج عاشور قلب الأسد؟

كان عاشور قلب الأسد أشهر مرضانا الصغار. شعره ناعم غزير، وجهه دائم الابتسام، مستدير كالقمر بسبب جرعات الكورتيزون الكبيرة التي عليه أن يتناولها علها توقف تدهور كليتيه العليلتين. كان قصيرًا مدكوكًا، وامتلاء جسمه بسوائل الارتشاح التي يسببها مرضه جعله يستدير ويتكور، فأصبح في ملابس المستشفى البيضاء الفضفاضة كأنه مصارع ياباني صغير، ولهذا أطلقنا عليه هذا الاسم، عاشور قلب الأسد.

قضى شهورًا معنا. أحببته كما أحبه كل الأطباء والطبيبات والممرضات. كنا نحب أن نحضره للمكتب في نوبتجيات الليل المملة، ونستمع لحكاياته التي لا تنتهي عن قريته التي فيها أعجب العجائب.

عندما أتى أهله لزيارته بعد شهرين من إقامته في المستشفى، رأيت الدموع في عين أمه وهي تحتضنه وتقول: ما شاء الله.

سَمن الولد يا أبو عاشور، فيرد عليها وهو يقبل رأس ابنه: الحمد لله، كنا نشكو نحافته، لكن من يدري، لعل الله ابتلاه بهذا المرض حتى يأتي للمستشفى وتغذيتها المفيدة ويكبر ويسمن ويقوى. كنت أسمعهما ولا أجرؤ على ذكر سبب هذه السمنة.

عندما عدت من إجازتي الصيفية، قال لي زميلي وهو يشرح لي طبيعة الحالات التي عليّ أن أرعاها في نوبتجيتي: الحالة الحرجة الوحيدة هي حالة عاشور قلب الأسد، الكلى تآكلت وتوقفت تمامًا عن العمل وسوائل الارتشاح تضغط بشدة على القلب والرئتين، حالته أصبحت حرجة جدًّا.

كان ممددًا في سريره، واهنًا، ما زال وجهه مستديرًا، لكنه أصبح رماديًّا، والحياة تنسحب من عينيه اللتين كانتا ضاحكتين دائمًا. مددت له يدي. نظر لي ورأيت محاولاته العاجزة أن يمنحني ولو ظل ابتسامة صغيرة.

عند الفجر كنت أكتب شهادة وفاته التي تبللت في أكثر من موضع بدموع لم أملك أن أوقفها، مثل تلك الدموع التي سقطت على خدي أمام أبيه وهو يقول حزينًا ومتعجبًا: كيف ساءت حالته يا دكتور، ونحن كنا نراه كل مرة يسمن ويسمن، ويكبر ويكبر، سمعتكم تنادونه عاشور قلب الأسد، أطفئ قلبي يا دكتور وقل لي ماذا حدث.

المروحة

الجو خانق وكل من في دائرة الجالسين يبحث عن نسمة هواء.

تقف المروحة في الركن، تدور فتهبط دفقة مُرطبة، ثم تُكمل دورتها تاركة كلًّا منهم في انتظار عودتها.

يقف ذو الوجه اللزج والنظرة القاسية، ويُثبتها في اتجاه مقعده.

يوجه له الباقون سهام حنقهم الناري، ثم ترتخي سواعدهم على جوانب مقاعدهم ويغرقون في لزوجة العرق وقسوة حرارة الهواء الذي لا يجيء.

ينظر هو إليهم بسخرية واستهانة وتكبر بلا حدود.

نظرة

صعد إلى الأتوبيس وعلى ذراعه حقيبة مليئة بالبضائع. تنقل بصره بين الركاب ثم قال:

نقول صباح الخير.

سكت للحظات وهو يتفحص الوجوه والرؤوس، ثم أكمل:

ولا نقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحسن؟

رد عليه الكثيرون بحماس:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وظهرت في عينيه نظرة صقرية ثعلبية.

يد أمي

جلس على المقعد المرتفع، قدماه لا تصلان للأرض، متململًا بعد أن طال الوقت وأمه ما زالت في حجرة الطبيب. لا تستطيع شاشة التلفزيون التي تتراقص فيها الألوان أن تجذب عينيه المحملقتين في الباب المغلق.

ليست فقط سنواته السبع هي ما منع بقاءه في المنزل وحيدًا في انتظار عودتها من زيارة الطبيب، بل رفضها المطلق لوجوده بعيدًا عن قبضة يدها الضاغطة بقوة على ذراعه النحيلة وسبابتها المتجهة إلى وجهه وهي تلقي تعليماتها بصوتها الحازم.

حتى نوبات المغص العاتية التي اجتاحت جسدها في الأسابيع الأخيرة وجعلتها تصرخ ألمًا، وتصرخ أيضًا في وجهه ألا يبكي لبكائها، لم تستطع أن تُوقف قرصاتها لأذنه تحذيرًا وعقابًا.

اجلس هنا. لا تجلس هنا. رتّب سريرك. أغلق دولابك. نظف حذاءك. لا تقف بالقرب من النافذة. ابتعد عن البوتاجاز. لا تفتح باب الشقة مطلقًا. لا تغلق باب الحمام أبدًا. ممنوع الشيكولاتة. لا بد من بيضتين مسلوقتين في الصباح. لا تمشِ حافيًا.....

يتأرجح البندول في كل لحظة بين أقوالها التي تؤكد أنه رجل البيت وأنه قد أصبح كبيرًا وجديرًا بالثقة، وأفعالها التي لا تراه إلا طفلًا طائشًا لا يحسن أي شيء.

أما هو فلم يكن يرى نفسه رجلًا للبيت ولا طفلًا طائشًا. لم يكن يعرف إلا تأرجحه هو أيضًا كالبندول بين نهار يحس خلاله بالحصار المطبق وليل يعيش فيه انطلاقاته الكبرى.

تراءى له البيت خاليًا إلا منه، يبحث عن المفتاح الفضي الذي تحتفظ به أمه في دولابها، ويفتح به الضلفة التي تجمع فيها ألعابه التي أهدتها له على مدار السنين جدته التي اختفت وعمه صاحب اليد الدافئة دائمًا وخالاته الحلوات ذوات الشعر الذهبي وجارته الطيبة التي تشير له خفية هي وابنتها التي تماثله عمرًا في مدخل العمارة. نفض كل شيء من مكانه وقلب كل الأثاث رأسًا على عقب، ودارت عيونه بلهفة في كل الدواليب والأدراج، وفتح التلفاز ليشاهد برنامج الأطفال الذي يحبه ورفع صوته إلى أقصاه، ووضع كرسيه البلاستيكي الصغير ملتصقًا بسور الشرفة، وتدلى بجسده يتابع المارة والسيارات.

خرجت أمه من غرفة الطبيب. اتكأت على جانب الباب للحظة ثم خطت ببطء وهو جالس متسمر في مكانه، يطالع هيئة ونظرة لم يرها من قبل. مدت يدها في صمت فأمسك بها، ونزل إلى الأرض. أراحت كفها على كتفه فأحس برجفة. رفع عينيه يتطلع إليها وقد أصبحا في الطريق. تنظر شاردة إلى بعيد. تبسط يدها

مرتخية على كتفه ثم تقبض عليه بقوة، فيحس بألم كبير وحيرة أكبر.

قالت له بصوت واهن ونبرة حادة: كيف تسير ملتصقًا بأمك هكذا؟ عيب، لقد كبرت، سر أمامي ولا تلتصق بي مثل الأطفال الصغار.

دفعته إلى الأمام، فتقدمها لبضع خطوات، ثم انطلقت خطواته أبعد، وسرعان ما تراءى له الطريق كأنه لم يره من قبل، الأشجار وأكشاك المرطبات والصبية الذين يتصايحون وواجهات المحلات التي تومض وأصوات الأغاني تتداخل وتصنع صخبًا، مقهى يسد الشارع ثم عربة يطقطق فيها الفشار، محل ملابس وآخر للعب الأطفال، وبعده محل يسد الرصيف بأجولة اللب والسوداني والحلويات.

اندمج وأخذ يتقافز، يركل ما يصادفه من طوب بحذائه الجديد اللامع ويمسك بأوراق الشجر المتساقطة، يفركها ويشمها ثم يمسح يديه المتربتين في جانبي بنطاله. لم يكن ظمئًا لكنه شرب بنهم من صنبور وضعه أحدهم في مدخل عمارة ليروي العطاشى.

فعل كل ما تاقت نفسه لفعله طويلًا، متلفتًا خلفه، منتظرًا أن تأتيه التحذيرات ثم الأوامر ثم شدات الأذن. وعندما لم يحدث شيء من ذلك، توقف يبحث عن أمه. راعته نظرتها المنطفئة وأحس أن

شيئًا موحشًا غامضًا يسبح في الأفق.

تداعت ساقاه وذراعاه عن القفز والحنجلة. رجع ومد ذراعه لأمه، لتمسك به. تراخت يدها على يده وتشبثت يده بيدها.

لا يدري كم طال الوقت وكم طالت المسافة. اعترضت الطريق بركة صغيرة من الوحل. نظر لأمه ثم أخذ يدبدب بقدميه بعنف وعصبية حتى تناثر الوحل على ملابسه وملابسها. ينظر إليها، فلا يتلقى إلا شرودًا. يقفز في الماء الموحل متعمدًا الصراخ بصوت مرتفع، متلهفًا لسماع الصوت الآمر ولقرصة الأذن القاسية.

الكُورَس

نقر المايسترو بعصاه نقرتين. هدأت الصالة. سكن العازفون. حتى الإضاءة المبهرة خفتت وأخذت في التضاؤل.. صمت كامل.

من نقطة بعيدة في سقف المسرح، امتد شعاع، حتى استوى بقعة من النور الحالم على الخشبة تنتظر من تتألق تحتها.

لم أستطع أن أمنع عيني عن التعلق بحاجز الكواليس. آه من الغيرة، كلنا في الصف صور متكررة، نفس الثياب، لا يسألني أحد عن رغبتي في شكلها أو لونها أو طرازها، نحن الآن في مرحلة الأخضر المُوَشى بالذهبي، وقبلها كنا في الأزرق، وبعدها لا أدري ولن يهتم أحد أن أدري. ترى ماذا ستلبس اليوم؟ مهما لبست فهو على الأقل اختيارها، لكنها بالتأكيد ستبتعد عن الأخضر والذهبي، لون الكُورَس ، فهي لم تعد بيننا، ولا بد لها أن تؤكد ذلك.

أوامر المايسترو صريحة، تركيز النظر على نقطة وهمية في عمق الصالة، لكني لا أستطيع أن أحوّل نظري عن حاجز الكواليس، في انتظار الآتية من الداخل. تتعمد التمهل، لا تجري إلى المسرح مُتهللة كما حدث في المرة الأولى، فترتبك خطواتها،

ويستقبلها الجمهور بتصفيق تشجيع مُشفق. الآن تتريث، تترك لحظات من الصمت، تسكن فيها حتى الأنفاس، وتتحول كل العيون إلى البقعة الضوئية المنتظرة، كأنهم يرجون ظهورها. تنتظر بعدها لحظة قصيرة أخرى، ثم تخطو ويظهر الثوب الأبيض عاري الأكتاف المتألق بالحلى الفيروزية. تقف لحظة قبل الوصول إلى دائرة الضوء، يصبح التصفيق مُدويًا وتلتقي كل العيون في بقعة واحدة. هل ينظر أحد إلى الكُورَس الآن؟ تخطو خطوتها الحاسمة وتدخل تحت هالة الضوء القادمة من نجم بعيد في سماء المسرح. تتألق مجوهراتها، حقيقية أم مزيفة؟ لا يهم، تتألق في كل الأحوال. غير مسموح لنا إلا بالخواتم. هل ما زالت تتعامل مع كوافير الفرقة أم أصبح لها كوافير مُخصص لها يصحبها أينما ذهبت؟ آه من الغيرة.

تنحني للجمهور الذي ارتفعت حرارته، ثم تنحني مرة ثانية. لن تنحني الثالثة، أنا أعلم، تدخرها لما اعتادته من تصفيق عارم بعد الانطلاقة الافتتاحية، لم يعد تصفيق التشجيع، بل الانبهار والتقدير، حتى المايسترو الرهيب العملاق يترك منصته ويذهب إليها مُحييًا.

ارتفعت العصا وهبطت، فدندن العود، وتمايل عشرون كمانًا، وتصاعد الإيقاع.

أشار المايسترو أن نستعد، وبعد لحظة، ارتفع أربعون صوتًا نسائيًا ورجاليًا.

وقف الخلق ينظرون جميعـًا كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الــكلام عنــد التــحدي

نمهد للبطلة الطريق للمجد، نفرشه بالورود، حتى تخطو عليه وتنطلق وترتفع.

أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ودراتـــــه فــرائد عقـــدي

عاصفة من التصفيق ارتجف لها كل كياني. لِم يصفقون بكل هذه القوة؟ انحنت بثقة وشدّت جسدها وانطلقت.

إنني حرة كسرت قيودي .....

ارتفع الصوت وحلَّق وملأ فضاء المسرح. صوت جذاب لا أنكر، لكن هل يستحق كل هذا المجد؟ كانت زميلتنا في الكورس وكان المايسترو يلومها كثيرًا لأنها تخرج عن طبقة صوتنا. امتياز مغنية الكُورَس أن تحتفظ بصوتها في الحدود المرسومة، لكنها فشلت، فهل كانت هذه هي علامة امتياز صوتها؟ رفض أن ينحبس في إطار المجموعة وانطلق وحيدًا، ابتعد عنا، ووجدناه يرتفع، ينبسط على الأرض ويرتفع إلى السماء، أنا لا أنكر أن صوتها متميز حقًّا.

إن مجدي في الأوليات عريق من له مثل أولياتي ومجدي

آه آه من قوة انطلاق صوتها واتساع مداه ودسامته. أعطاني المايسترو الفرصة من قبل مع زميلتين أخريين في حفل متوسط

الأهمية. لا بأس، لم نفشل، لم أفشل، أديت المطلوب، لكن صوتي لم يستطع أن يخرج عن الحدود، حدود صوت الكورس، فعدت إلى مؤخرة المسرح، إلى مكاني الطبيعي. خمسة عشر عامًا، تغيرت خلالها أغلب الوجوه، حتى المايسترو تغير، وأنا ما زلت في الكُورَس، وهل يمكن أن يكون لي مكان غيره؟

قد وعدت العلا بكل أبي من رجالي فأنجزوا .....

عندما جاءت لتنضم للفرقة، أحببتها من أول لقاء، ومنعت عنها نيران الأخريات. أختي الصغيرة، ضممتها تحت جناحي. كانت وديعة ورقيقة وصافية. كانت وما زالت لا بد أن أعترف بذلك. لم تختلف إلا في تألقها على المسرح، أما الإنسانة فما زالت بسيطة خجولة كما رأيتها أول مرة. حاولت مرارًا أن أرصد علامات الغرور والتكبر فيها، فلم أجد. لم أعد صافية تجاهها، لكنها لم تتنازل عن بساطتها الأخّاذة. فشلت أن أكرهها، حاولت وفشلت، نعم هذا حق وعليّ أن أعترف. جاءت إلى الدنيا بحنجرة ذهبية وجئت أنا بحنجرة برونزية على أفضل تقدير، فما ذنبها؟

وقف الخلق ينظرون جميعًا كيف أبني قواعد المجد وحدي

تصفيق. تصفيق حاد. تصفيق مدوٍّ. الجمهور يقف مصفقًا، كله، الصالة كلها، سيدة عجوز في الصف الأول تستند إلى عكازها وتصفق، المايسترو يصفق. سابحة هي في سحابة الأنوار، الفستان الأبيض يرتفع بها مثل الملائكة، وجهها الصافي يتألق،

تنحني، تفتح ذراعيها محيية، تضمهما شاكرة، تتألق الدموع في عينيها البريئتين، تتألق الدموع في عيني، حبيبتي، أختي الصغيرة الفنانة الرائعة، وأخذت أصفق وأصفق وأصفق.

الأسطى الأستاذ إبراهيم

(1)

ركن الأسطى إبراهيم التاكسي. ظهرت أضواء قليلة متناثرة في الشارع وفي البيت الذي يسكنه. صعد بنظره إلى الطابق السابع، لا أنوار هناك، حسنًا، فليس به طاقة للحديث والساعة الآن تقترب من الثانية بعد منتصف الليل.

في المساء هو الأسطى إبراهيم التكسجي، أما في الصباح فهو الأستاذ إبراهيم الإخصائي الاجتماعي في مدرسة الزهراء الابتدائية.

الأسطى الأستاذ إبراهيم يقترب من الخمسين. شعره الخشن نصفه شايب. شاربه غليظ أشعث وقد وجد أنه من المُستحب أن يكون كذلك وسط عالم التكسجية. كرشُه لا بأس به. علبة سجائره في جيب قميصه الباهت. لا شيء يستفزه قدر النصائح أو التوبيخ الذي يسمعه عن فلوس السجائر التي عياله أولى بها، ويقول: عيالي نور عيني، لكن مفيش اللي يصبَّرني على العيشة إلا السيجارة وكوباية الشاي، الرحمة بقى، اعملوا معروف.

لم يكن هناك أمل عند إبراهيم في الزواج، إلا أن الحظ جمع بين وفاة والده وظهور أبلة أماني الطيبة الغلبانة المقطوعة من شجرة، فأمكنه الزواج والإقامة مع أمه.

لكن يبدو أن البيت العتيق كان ينتظر فقط هذه المصادفات وإتمام الزواج قبل أن يتصدع، فكان لا بد من البحث عن شقة، فوجد شقة إيجار جديد بـ 650 جنيهًا، لكنها الآن وصلت إلى 950 جنيهًا.

وجاء الولد طارق الأسمراني أبو عينين بتنط منهم الشقاوة وهو الآن في ثالثة ابتدائي في مدرسة المروة الخاصة، أيوة مدرسة خاصة، ليه لأ، أنا وأمه شقيانين ليه، مش علشانه وعلشان أخته. صحيح المصاريف حراقة شوية 4200 جنيه وكل سنة بتزيد، لكن أنا عارف مدارس الحكومة وعيالي مش أقل من عيال المدارس الخاصة.

أما البنت آية، يا روحي عليها وهي بتقول لي هيما زي أمها، آية السنة دي في كي جي تو.

(2)

عندما يُسلمني زميلي وردية التاكسي، نتقابل عند نصبة الشاي التي يتجمع عندها التكسجية. لا أدري هل أضحك أم أبكي عندما أسمع زملائي يقولون: إبراهيم ده ماشية معاه، راجل موظف

ومراته مدرسة وشغَّال على تاكسي.

أكبَّر في وشهم، مش لأنها ماشية معايا، لكن علشان خايف تزرجن أكثر مما هي مزرجنة.

ماشية معايا إزاي يا عم!!

مرتبي لسه قابضه إمبارح 1472 جنيه بعد 22 سنة خدمة، وعلى آخر السنة مكافأة الامتحانات ألفين ثلاثة. دول اللي بندلع نفسنا بهم إلا لو حاجة طيَّرتها. أنا الأستاذ الأخصائي الاجتماعي المطلوب مني عمل بحث حالة علشان لو حد محتاج إعانة أو إعفاء من المصاريف، محتاج اللي يعمل لي بحث حالة ويقول لي أكمّل الشهر إزاي، وأماني مدرسة الرسم مرتبها ما يكملش 1350 جنيه، والاسم مؤهلات عليا، يا سيدي على الناس العليا.

مش عارف من غير التاكسي كنت حعمل إيه. لأ عارف، كنا حنشحت، حنشحت بجد مش هزار، لكن المشكلة إننا مكناش حتى حنعرف نشحت، من مين وازاي، مؤهلات عليا يا عم وموظفين في الحكومة، هههه !

الحكومة. هو إحنا بنشتغل في الحكومة ولا مفعوصين جوه مفرمة الحكومة؟ عايزة مننا إيه تاني يا حكومة؟

لا تعليم لعيالنا لاقيين ولا مستشفى نجري عليها لو محتاجين، ولا مواصلة ينفع نروح بها شغلنا، وكل شوية الكهرباء تفط وتنط، بقى يا عالم أدفع 382 جنيه كهرباء على أوضتين وصالة

ومروحتين وثلاجة وغسالة، ولمَّا أشتكي يقول لك ممكن تقسّطهم، يا سيدي إيه الكرم ده كله، والتموين اللي كان بيسندنا شوية بيقصقصوه حتة حتة، كأنهم استخسروا فينا شوية الحاجات اللي كنّا بناخدها.

(3)

يوم الخميس رزقه واسع. صحيح الشوارع بتكون زحمة شوية لكن مش بمشي عشرة متر من غير زبون.

العصر زبون -الله يسامحه- قعد يتكلم معايا عن الدولار والجنيه والأسعار القديمة والأسعار الجديدة، وفي الآخر قال لي: اللي بيحصل ده معناه إن مرتبك بقي النص، والعشرة جنيه اللي حديهالك في المشوار بقت خمسة جنيه من بتوع الشهر اللي فات. رديت عليه: إزاي يا باشمهندس؟ حنعيش ازاي في الغلاء ده؟ مسمعتوش بيرد على رغم أنه ما بطلش كلام من أول ما ركب. بصيت له، لقيته بيعيّط. أنا اتقهرت. باين عليه راجل محترم ولابس كويس وشكله مثقف. ركنت على جنب، هدّي نفسك يا أستاذ ربنا كبير، مسح دموعه وقال لي: ونعم بالله، لا مؤاخذة يا أسطى، بس هي دي الحقيقة.

لقيت زحمة عند محطة الغاز. نظامنا إني أسلِّم العربية متفوّلة لزميلي، قلت إيه العَطَلة دي، خد لك توصيلة وعدي بعدين على

محطة تانية، بعد ما نزلت الزبون رحت على محطة تانية، نفس الزحمة. إيه الحكاية؟ واحد جنبي قال لي: إنت مش داري بالدنيا، الغاز والبنزين حيغلى من بكره.

تزنيق وخناقات، لقيت واحد بيشتمني مش عارف ليه، شتمته، ولاد الحلال فضّوا الخناقة.

فوّلت التنك لكن الساعة اتناشر ونص، 27 جنيه فرق عن تفويلة امبارح. مين يقول كده والله حرام. هي فيها كام 27 جنيه بعد الشقاء والمرار ده، وياترى الزبون حيدفع أكثر. زبون مين يا عم، ما هو الزبون كان قاعد يعيط جنبي من كام ساعة.

أغلق الأسطى إبراهيم باب التاكسي، ورمى عقب السيجارة ودهسه بقوة. اقترب من البيت وأحس أن الطابق السابع بعيد جدًّا. المدخل مظلم، فأخذ يصعد بحرص في ظل ضوء خفيف يأتي من الطابق الثالث. كان مُرهقًا فتوقف ليرتاح قليلًا. وصل للطابق الثالث وأحس بونس وجود النور. واصل الصعود لكن خطواته كانت تثقل. قاوم ثقل خطواته لكن أنفاسه بدأت أيضًا تصبح ثقيلة.

توقف وتطلع إلى الطابق السابع. رأى أماني وطارق وآية وأمه العجوز، وأصبحت أقصى آماله أن يصمد حتى يفتح الباب ويرتمي على أرض شقته.

اليوم الرابع

الغبار عالق في السماء التي أصبحت رمادية كئيبة، والشمس من ورائه كليلة مختنقة لا يصل نورها، لكن صهدها يخيم على أنفاس أهل المدينة.

الغبار راقد على البيوت والأشجار والسيارات ووجوه الناس وملابسهم، فيشحب زهو الألوان وراء طبقاته التي تتراكم وتكسو كل شيء بهذا اللون الترابي الذي ألفته عيون البشر، فأطفأتها.

يضييء الناس أنوار بيوتهم خلال النهار، ويسعلون طول الوقت، وعندما يتحدثون تأتي أصواتهم مُبهَمة غليظة النبرات، يتنحنحون كثيرًا محاولين جلو ما علق بأحبالهم الصوتية، يلعنون الغبار والصهد المُقيم.

وتمضي الأيام كما جرت أيام طويلة قبلها.

يتناقلون أخبار الأرصاد الجوية التي تتوقع هطول الأمطار. يتمنونه ويخشون عواقبه، فالشمس قد تشرق قليلًا، لكن السير في الشوارع يصبح مستحيلًا.

في اليوم الأول فتحت المدينة عيونها على زخّات خفيفة سال ماؤها على النوافذ، فرسم عليها خيوطًا رفيعة وسط الغبار الكثيف، وتلكأ لبرهة قصيرة على أوراق الشجر، ثم تساقطت ببطء على رؤوس وملابس المارة بقع طينية لزجة.

وعند منتصف النهار، أخذت الشمس تلوح بين الحين والآخر. ازداد الضياء قليلًا حتى إن بعض الناس أطفؤوا مصابيح بيوتهم وخرجوا إلى شرفاتهم مبتهجين ببشائر اللون الأخضر التي بدأت تظهر في أوراق أصص الزرع الصغيرة.

ثم جاء الليل، وهم بين تمنٍّ أن يتوقف هذا الرذاذ الذي لم يؤدِ إلا لبرك مائية طينية تتناثر في الشوارع التي ظهرت عوراتها واضحة، وبين رجاء أن يزداد، فيزيح الغبار العالق في السماء ويفتح الأبواب لأشعة شمس الغد لتجفيف طين الشوارع ولتذكيرهم بألوان البيوت والسيارات والأشجار التي غابت طويلًا وراء الأتربة.

في اليوم الثاني، تواصل المطر واشتد. تتجمع الغيمات الرمادية في السماء، ترسل ومضات برقها، ثم يدوي الفضاء برعدها، وبعد ذلك تهطل المياه غزيرة لبعض الوقت، ثم تتوقف فجأة، كأنها تعاين أثر ما تصنعه، وتراقب أهل المدينة الذين تراوحوا بين الانكماش في بيوتهم وراء نوافذهم التي بدت الآن شفافة، يستطيعون من خلالها رؤية ثغرات سماوية زرقاء تلوح بين الغيوم، وبين السائرين في الشوارع يلعنون أحوالهم وبعضهم

بعضًا والسيارات المارقة التي تبعثر المياه الطينية عليهم، يختبئون في مداخل العمارات، انتظارًا لاستكمال طريقهم.

حتى العصافير، عندما يشتد المطر، كانت تختبئ وتصمت تمامًا في مخابئ وجدتها وسط فروع الأشجار، ثم ترفرف وتزقزق عندما يصبح رذاذًا خفيفًا أو يتوقف، فرحة ببيوتها الخضراء النظيفة التي تشع رائحتها خيرًا وجمالًا.

قبل الغروب عندما عاد الناس إلى منازلهم، ابتسموا في سعادة رغم اتساخ شعورهم وملابسهم وأحذيتهم وهم يرون ألوان النوافذ والحوائط، وقد بدأ أزرقها وأخضرها وأصفرها وأحمرها، بل وأبيضها في الإطلال على عيونهم.

ناموا يتمنون أن يكمل المطر مهمته أثناء الليل، فيستيقظون غدًا وقد استعادوا ألوان مدينتهم.

منذ فجر اليوم الثالث، تزايد هطول المطر، وتواصل وميض البرق ودوي الرعد. احتلت السحب الكثيفة صفحة السماء وأخذت في سكب أنهار مياهها التي لا تنضب إلى الأرض.

استيقظ أهل المدينة على أضواء تبرق وتخطف الأبصار، وطبول تدوي وترج القلوب، وسيل لا ينتهي ولا يهدأ بين السماء والأرض.

ترتج الأبواب والنوافذ بعنف وبلا توقف، حتى خالوا أن زلزالًا يهز أعماق الأرض تحت مدينتهم، فهرعوا إلى الأرصفة والشوارع والميادين الواسعة، غير مبالين بالبلل الذي ينتظرهم.

امتلأت المدينة بالبشر. فاضوا إلى كل مكان كأنه يوم الحساب، تتزاحم أجسادهم وتتلاقى عيونهم وترتعش قلوبهم وتتلاطم أفكارهم. وجوههم وأياديهم وملابسهم غارقة في المياه، يرتعدون ويبتهلون وفي نظراتهم بريق يتنقل بين جمال ألوان بيوتهم ونضرة الخضرة في الأشجار التي اكتشفوا وجودها.

بعد ساعة توقف المطر فجأة. توقف كأنه لم يكن. اختفت السحب تمامًا إلا من سحابات بيضاء ناصعة أبرزت الزرقة السماوية الصافية، وبزغت الشمس طيبة دافئة منيرة، تطل من السماء وتطل من ضياء كل الأشياء ومن عيون البشر اللامعة.

وبعد ساعة جفت البرك وظهرت الميادين والشوارع والأرصفة نظيفة لامعة مشرقة. جرف المطر الغزير الطين المتراكم على جوانب الطرق وفجوات الأرصفة إلى مكان بعيد.

امتلأت الشوارع بالناس، يغنون، يرقصون، يتطلعون في نشوة بالغة، للسماء وشمسها، ولمدينتهم وألوانها، ولأنفسهم وبعضهم لبعض، كأنهم يستكشفون كل شيء من جديد ويرون لحياتهم ألوانًا ناصعة، ويتفكرون فيما حدث لهم ولماذا حدث، فيما فعلوا وفيما لم يفعلوا، ويتشاورون في خطوات أيامهم القادمة.

في اليوم الرابع .....

المعركة

ظهرت مقدمة المترو عند المنحنى، فدبت حركة من النشاط على الرصيف. اندفع البعض إلى الأمام وتكاتلوا. لم يفهم الباقون مغزى هذا، لكنهم تململوا في أماكنهم أو اقتربوا من الكتل الآخذة في التراكم .

مرق المترو يكاد أن يلامس الواقفين على حافة الرصيف، وازدادت حيوية المشهد عندما ظهر للمنتظرين أن هناك مقاعد شاغرة .

توقف المترو. لحظات ولم تُفتح الأبواب، علت همهمات بشرية مسموعة رغم ضوضاء الآلات. فُتح أحد الأبواب قبل الأبواب الأخرى فحدثت موجة من الزحف في اتجاهه، وبعدها بلحظات فُتح البابان الآخران، فحدثت موجة مضادة، تلى ذلك معركة قصيرة في الداخل للوصول إلى المقاعد الشاغرة.

وجوه ارتسمت عليها علامات الانتصار وأخرى طغت عليها ملامح الهزيمة والفشل.

عند المحطة التالية، قام بعض الجالسين للنزول، فجرت

مناورات محدودة لاحتلال أماكنهم.

لاحظ الواقفون أن ملابس من كانوا جالسين مُتسخة بهالات رمادية لزجة. ربَّت أحدهم على كتف الراكب الذي وقف استعدادًا للنزول وقال بصوت مرتفع: نفَّض لبسك يا حاج، ده كله تراب ووساخة من الكرسي اللي كنت قاعد عليه.

تبدلت الوجوه، الواقفون بدؤوا في الابتسام بسخرية وببعض التشفي، أما الجالسون فعلت وجوههم تقطيبة غضب ووقفوا وهم ينفضون ملابسهم في غيظ، ثم عاودوا الجلوس في استسلام وتحدٍّ.

في المحطة الأخيرة خلت عربات المترو من جميع الركاب، الذين تفرقوا في معترك شوارع المدينة المكتظة.

طيري يا طيارة

في منامه، رأى ألوانًا بهيجة، حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء، كانت طائرة ورقية كبيرة ولها ذيل طويل طويل.

طارت وطار معها. ركب فوقها ورأى بيته الصغير يتباعد ورأى أصدقاءه يصغرون ويتحولون إلى نقط صغيرة، والجزيرة التي يراها بعيدة من الشاطئ أصبحت تحت قدميه، واقترب القمر منه وأخذ يحادثه.

في الصباح أحضر أدواته، أوراق ملونة وثلاث قطع من البوص، خيط طويل متين، مقص وصمغ. أخذ يقص ويلصق ويصنع طائرته ثم مددها على الأرض وأخذ يدور حولها سعيدًا.

وعندما وصل إلى الشاطئ، كانت عيون الصبية ترقبه وهو يحملها. كانت أكبر وأجمل من كل الطائرات الأخرى.

رفعها فوق رأسه، ثم أطلق ساقيه للريح، وهو يفك خيطها شيئًا فشيئًا، وهي ترتفع إلى فوق، تبتعد. هو يسرع إلى الأمام وهي تنطلق إلى أعلى، فك كل الخيط وأمسك بطرفه بقوة وهي تحاول الإفلات عاليًا.

امتلأت بالهواء فأحس أنه يرتفع معها. انفلت الخيط من يديه فأخذت تطير بعيدًا وعاليًا. خنقته الدموع وهو يراها تتوارى، لكن ابتسامته أخفت دموعه، فقد كان فخورًا بطائرته التي تستطيع أن تسافر بعيدًا، واثقًا أنها في المرة القادمة ستأخذه معها.

العزاء

دخل الرجل الصارم إلى سرادق العزاء.

تلفَّت الناس مُنتبهين لصاحب الهيلمان، يُدققون في ملامح لا يرونها إلا في نشرات الأخبار.

أما هو فلا يتلفَّت، خطواته واثقة نحو صدر القاعة.

المقرئ يتلو الآيات، والرجل في موقعه لا تتململ له ملامح أو عين أو ساق أو يد.

بعد دقائق لاحظ بعض الحاضرين أنه يكتم الرغبة في التثاؤب، فاعوجَّت ملامحه، فرفع يده بسرعة يداري بها وجهه.

بعدها انتصب جامدًا في مكانه كما كان.

إلا أن التثاؤب سرعان ما جاء من جديد، وهذه المرة كان أسرع من يده، فرأى الناس الشفاه المضمومة دائمًا في حزم، وهي مفتوحة على اتساعها رغم إرادتها.

كتم الحاضرون نظراتهم وأجهضوا ابتساماتهم، إلا أنهم بعد

دقائق أخرى، لم يستطيعوا ذلك بعدما ارتفع صوت شخير الرجل وقد تدلى وجهه وتهدل على صدره واستغرق في النوم.

قضية الساعة

أمام المرآة وهو يحلق ذقنه، خطر له السؤال فجأة. تعجب منه، أًعجب به، لكنه ازداد به حيرة، فسأل صديقه: لماذا يلبس الناس الساعات في اليد اليمنى؟

غرق معه في دوامة التفكير، لكنه هز كتفيه وقال بلهجة غير مقنعة: مجرد عادة.

لم يقتنع بالإجابة، فنظر في عين حبيبته ثم سألها، فقالت: اليمنى أجمل، ففيها أول علامات الارتباط، دبلة الخطوبة.

اعتبر إجابتها تلميحًا ذكيًّا، لكنه حزن، أحس أنها لا تفهمه، وعاد إلى البيت مكتئبًا. على المائدة كان الوجوم أشد من أن يمر بلا تعليق. سأله الجميع. لم يستطع أمام الإلحاح إلا أن يطرح السؤال.

تنحنح والده بثقة وقال: يريدون الاستفادة من أن الساعات الحديثة ضد الصدمات، فيضعونها في اليمنى التي تتحرك أكثر.

خرج إلى الشارع بلا هدف، وفي لحظة الغروب، ارتفع صوت

الأذان، فامتلأت روحه بالأمل، صلى، ثم سأل الشيخ، فأجابه: اللهم اجعلنا من أهل اليمين دائمًا.

أحس أنه لم يصل لشيء. بحث عن تعليل، فلم يجد، تعجب أن أحدًا لم يثر هذه القضية من قبل .

تثاءب وأحس بالنوم يدب في جفنيه، قال: ترى كم الساعة الآن؟ نظر في يده اليمنى فلم يجدها، انتفض منزعجًا. نظر في المرآة، فتنهد مرتاحًا.. ونام.

بيت المستقبل

أتحسس جدران البيت العتيق وأتشممها للمرة الأخيرة.

المسامير التي حملت براويز صورة زفافي وصورة زفاف أمي وأبي ولوحة أسماء الله الحسنى الكبيرة في الصالة، هي فقط ما تبقى مغروسًا في الجدران التي شحبت ألوانها.

رائحة الملوخية تأتي من المطبخ مصحوبة بنداء أمي، وذراع أبي وهو يُجلسني على ساقه، ويضع لقيمات الخبز المغموسة بالملوخية في فمي.

لا تترك نفسك للذكريات التي لم تعد إلا ماضيًا ولَّى، فالواقع يمحوها يومًا بعد يوم، والحياة الآن تبدأ من جديد محمولة في سيارة نقل الأثاث الرابضة تحت البيت.

أخرج إلى الشرفة، للاطمئنان على سير الأمور. حماس صوت زوجتي وهي تقف في الأسفل تشرف على سلامة النقل وتعليقات ابنتيَّ يصلني رغم ضوضاء الشارع. وأنا أدور بين حجرات الشقة، أُوجه العمال أثناء تفكيكهم وحملهم للأثاث، وللحقيقة هم محترفون ويعلمون تمامًا ما يفعلون.

عندما شاهدت البرنامج المصور على القناة الأولى، لم أصدق أنه يمكن لي أن أكون من أصحاب الحظ السعيد، لتملك شقة في هذا المشروع الجديد. رددت أرقام التليفونات حتى حفظتها، واتصلت فورًا.

في الصباح التالي كان شاب أنيق يطرق باب شقتي، يضع أمامنا -وقد تحلقنا حوله- أوراق الرسم الهندسي للشقة، وحتى أسلوب توزيع الأثاث في كل غرفة، وأوراقًا رسمية لإثبات سلامة إجراءات ملكية الأرض وتراخيص البناء، وعقد الشقة، وأيضًا صورًا لامعة لافتتاح المشروع ومراحل تنفيذه وصورًا جميلة للأسر التي تنعم بالحياة الفاتنة وسط الحدائق ونوافير المياه.

أما ما أذهلني، فهو أنه ليس مطلوبًا مني أي أعباء مادية، بل فقط التنازل عن بيتي القديم.

أتم العمال نقل الأثاث، وظهرت الشقة عارية. أتربة على الحواف وفي الأركان، جدران مقشورة الدهان، وهذا الشق الطولي في جدار غرفة النوم الذي كان مختفيًا وراء الدولاب الضخم.

تجولت بين الحجرات والنوافذ وأركان البيت التي شهد صرخة ولادتي وألعاب طفولتي ومغامرات شبابي وزواجي ومداعباتي لابنتي، وأنا أغلق الباب للمرة الأخيرة.

تنهدت، ثم نزلت بنشاط على السلم الذي تآكلت درجاته، تأكدت مع زوجتي من وجود كل متعلقاتنا في سيارة النقل، وسلمت

مفتاح الشقة القديمة لمندوب المشروع.

اتخذت سيارة النقل طريقها، ونحن خلفها في سيارتي الصغيرة، زوجتي وابنتاي وأنا.

انطلقت سيارة النقل بسرعة، وأنا أتبعها بحرص. حماس كبير يملأ نفوسنا، نتحدث جميعًا في الوقت نفسه، ونتحدث جميعًا عن الموضوع نفسه، البيت الجديد.

تحلق الأحلام بنا في شقة زاهية الألوان، تدخلها الشمس الدافئة وتنعم بمشهد الحديقة الواسعة.

أين ذهبت سيارة النقل؟

لا بأس، لا بأس، فقد ذهبت من قبل لمعاينة الشقة والمكان مرتين، ويمكنني أن أتذكر الطريق رغم طوله وبعده عن الطرق المألوفة، وسنلحق بسيارة النقل هناك.

بعدما أخطأت الطريق مرتين، وصلت إلى مشارف مشروع مدينة المستقبل واتخذت سيارتي مكانها في الصف الطويل أمام البوابة.

مر الوقت دون أن نتحرك ولو قليلًا. الطابور طويل أمامنا، لكني عندما أنظر خلفي وأجد طابورًا أطول وراءنا، يخف ضيقي.

طال الوقت. ترجلت ذاهبًا إلى مدخل البوابة للاستفسار، فسألني الموظف: هل معك تصريح دخول؟ فأجبته أنه مع سائق سيارة

الأثاث. رد علي: إذًا عليك انتظاره. استفسرت عن سبب طابور السيارت المنتظرة الممتد على مرمى البصر، فنظر لي ببرود: هذا لا يعنيك. انتظر في دورك.

رجعت إلى سيارتي مارًّا بصف السيارات المصطفة الطويل، وأنا أتساءل عما يمكن أن يكون سببًا لعدم دخول أي سيارة لهذا الوقت الطويل.

ساعة، ساعتان، ثلاث ساعات. القلق والتذمر يتصاعد. أهاتف كل تليفونات المشروع، لكن يبدو أن شبكات الاتصلات لا تعمل في هذا المكان.

تغيب الشمس، وتزداد برودة الجو. تنسحب الطاقة من نفوسنا، ويحتلها إحساس غامض بالضياع. أضغط على نفير السيارة بأقصى ما يمكنني من قوة وانفعال، وأسمعه يتردد في الفضاء العريض الذي يحيط بنا.

الحقيبة الخضراء

تناديني زوجتي أميمة وتهتف ابنتي سلوى وابني عادل، يتعجلون نزولي لفسحة صباح الجمعة في حديقة النهر.

- حالًا.

أقولها ورأسي مندس في الدولاب، ويداي تُخرجان محتوياته، وقلبي ينبض بسرعة.

- سننتظرك في السيارة. لا تتأخر.

أين اختفت الحقيبة الخضراء؟

عند وفاة أمي رحمها الله، تعجبت أختي وأخي في البداية وأنا أصر على الاحتفاظ بحقيبتها الخضراء، لكني رأيت في عيونهم محبة دافئة مبللّة بالدموع بعدما استقرت الحقيبة بين يدي.

كنا جميعًا في الحديقة. فتحت أمي حقيبتها الخضراء وأخرجت منها بالونة ملونة لكل منا، وأخذت هي وأبي في نفخها ونحن نتقافز حولهما.

عدت إليها باكيًا وقد خدش فرع الشجرة ذراعي، وسقط أحد أزرار قميصي وأنا أجري وراء بالونتي.

مدت يدها في حقيبتها الخضراء، وأخرجت زجاجة ميكروكروم وكيس قطن صغيرًا. طهَّرت الجرح، ثم مررَّت خيطًا في إبرة تضعها دائمًا في كيس في الحقيبة، وأصلحت زرار قميصي.

انطلقنا نلعب الكرة مع أطفال آخرين جمعتنا بهم شمس صباح الجمعة الدافئة في الحديقة الجميلة.

عدنا نلهث ونصيح في وقت واحد:

جائعيييين.

من الشنطة الخضراء خرجت ساندويتشات البيض واللانشون والجبنة الرومي، وأيضًا علب العصير، فافترشنا الحصيرة المزركشة ونحن نتحدث بحماس عن البط الذي يسبح ويغطس في بحيرة الحديقة.

امتدت يد أمي وأخرجت نظارة أبي الشمسية التي حلمت دائمًا أن يكون لي مثلها، فأخذها شاكرًا: لا تنسين أي شيء. ما أجملك!

جاء وقت الحدوتة، فأخرجت أمي كتابًا ملونًا من حقيبتها وذهبنا كلنا معها إلى القصر الكبير الذي تسكنه طفلة طيبة تحب العصافير وتكلمهم.

تكدرت كثيرًا وأنا أنظر لزوايا أرفف الدولاب والأغراض الملقاة

على الأرض، فلا أرى أثرًا للحقيبة.

قلت لنفسي أطمئنها: لن تتبخر. لا بد أنها مختفية في مكان ما. سأعاود البحث عنها بعد العودة.

أخذت مكاني في السيارة. أميمة بجانبي وسلوى وعادل في المقعد الخلفي وفي يد كل منهما بالونة.

ألبستني أميمة نظارتي الشمسية التي تتأذى عيني كثيرًا إذا لم أستخدمها أثناء القيادة في النهار.

وصلنا للحديقة. بسطنا الحصيرة المزركشة. جلسنا فوقها نتنسم جمال الأشجار والزهور وزقزقة الأطفال.

توقفت عن التهام ساندوتش الجبنة الرومي عندما رأيت زوجتي وهي تمد يدها إلى الحقيبة الخضراء، بينما عادل يشير إلى الجرح الذي أصاب ساقه أثناء لعب الكرة.

لاحظت أميمة نظرتي، فابتسمت بحنان:

- رحمة الله عليها. ما زالت بيننا، فمثلها لا يغيب.

تشبثت بيدها، فالتصقت بي. أملت رأسي على كتفها. تنهدت في إحساس عميق بالشجن والسلام والحب.

حلوان - المرج

أول الخط، محطة حلوان. المترو رابض بين رصيفين، فاتحًا كل أبوابه، يستقبل الركاب الذين لا يتوقف سيل توافدهم.

شمس مشرقة وسماء صافية ونسائم ربيعية لطيفة. طقس مثالي لا يُنبئ بما يقولونه في التلفزيون عن تقلبات جوية يصفونها بشديدة الغرابة، دفعتني لإحضار جاكت خفيف فقد أحتاج إلى ارتدائه فوق قميصي الصيفي.

أعبر ماكينة التذاكر، وأضع التذكرة في محفظتي. يدي تمسك بالحقيبة التي وضعت فيها أوراقي تحسبًا لما قد يطلبه من مستندات عندما أقابله.

ما زالت بعض المقاعد شاغرة. اتخذت لنفسي مكانًا بجوار النافذة. أتابع توافد الركاب وأنتظر تحرك المترو.

صافرة عالية. أُغلقت الأبواب وانطلقنا.

شأن المترو دائمًا، تجد فيه كل ما يخطر ببالك، صرخات رضع وشرود نظرات هدها الزمن، أولادًا وبنات، شبانًا وشابات، ركنًا

يسكن فيه الصمت وآخر يملؤه الضجيج، وجوهًا ضامرة وأخرى تتفتح بالحياة، نظرات حب ونظرات حزن ونظرات غضب ونظرات حيرة، أسرًا وجماعات من الأصدقاء وزملاء عمل وآخرين فرادى يحادثون أنفسهم أو ربما يحادثون مجهولين في مكان بعيد.

أجلس في مقعدي وحقيبتي بين ساقيّ، تتوزع نظراتي بين ما يظهر بين الحين والآخر وراء السور المرتفع الذي يجري سريعًا للخلف وبين مراقبة الوجوه التي ترافقني الرحلة وإن اختلفت محطات ركوبنا ونزولنا. تتوزع خواطري بين نسج حكايات أراها وراء الوجوه أمامي وما يصل إلى سمعي من أطراف حديث، وتعيدني إلى مواقف مررت بها وأناس عرفتهم وأعجب للخليط العجيب الذي يجمعهم معًا في مشاهد لا يمكن أن تحدث في الواقع.

في المقعد المقابل يجلس شيخ هرم وامرأة لم تستطع الحناء أن تخفي شعرها الأشيب وفي حضنها طفل رضيع نائم. لعلهما مثل معظم الأجداد يشاركون أبناءهم وبناتهم الذين يكدون ليل نهار رعاية أطفالهم.

بين استغراق الرضيع في نوم هادئ في حضن السيدة وصرخاته التي لا تتوقف والتي أفزعتها وأفزعتنا لم تمر إلا ثانية واحدة. انتفضت السيدة وأخذت تهدهده وتلقمه ثديها، بينما تتناول من زوجها قماشًا مزركشًا تغطي به وجه الطفل وصدرها. تهمس في أذنه بأغنية تتوارثها الأجيال، تشع دفئًا وحنانًا وسلامًا.

تعجبت لهذه السيدة العجوز التي ما زالت قادرة على الحمل والإرضاع، وأشحت بوجهي بعيدًا حتى لا أسبب حرجًا لها، بينما أسترق السمع مستمتعًا بالأغنية التي طالما هدهدتني وأخذت بيدي إلى دنيا النوم مع إيقاعاتها الحنون.

توقف المترو. فُتحت الأبواب. خرج بعض الناس ودخل آخرون. أطلق صافرته ومضى.

في محطة حدائق حلوان، اندفع عشرات الأطفال إلى داخل المترو، يرتدون نفس ألوان الملابس وإن اختلفت في بعض التفاصيل بين الأولاد والبنات. المدرسات يحاولن إسكات تساؤلات التلاميذ الصغار التي لا تنقطع وتنظيم وقوفهم وإبعادهم عن الأبواب، لكن لا صوت يعلو فوق صوت حماس الأطفال في بداية رحلة، ولا شيء يوقف حركتهم في كل اتجاه ولا مشاجراتهم الصغيرة ولا سعيهم الدؤوب للوقوف بين المقاعد للنظر من النافذة.

أفقت من شرودي على علبة تسقط على ذراعي، علبة ألوان، ها هم باعة المترو قد بدؤوا نشاطهم الذي لا يتوقف. بعدما أعدتها للبائع، حل مكانها كيس به مجموعة إبر تصلح لكل أشغال الحياكة والتطريز، ثم شيكولاتة بأقل من نصف الثمن لأن البائع ليس ممن يستغلون الناس مثل باعة المحلات، ولأنه يحب أن تحلو أفواههم بمذاقها الحلو.

ألمح مناورات تلامس الأيدي التي تجري على بعد مقعدين بين الفتى الذي بدأ زغب خفيف ينبت فوق شفته العليا وبين الفتاة التي لم يستطع حب الشباب الناشئ أن يخفي تورد وجنتيها.

يناوش ظهر يدها بخنصره، فتُبعد يديها وتُقبل عليه بعينيها. يرتج المترو، فتكاد أن تفقد توازنها، فتمسك بيديه تتمسك وتتماسك بهما، وتعلو وجهيهما ابتسامة ندية.

(السادة الركاب. آخر محطة لهذا القطار هي دار السلام. الكهرباء مقطوعة في محطات الزهراء وماري جرجس والملك الصالح. يمكنكم استكمال الرحلة بنفس التذكرة من محطة السيدة زينب).

هرج ومرج ونفثات غضب، والشمس أيضًا بدأت تنفث حرارة صيفية حارقة. أخرج مع تيار الركاب من محطة المترو باحثًا عن أي وسيلة مواصلات، أصل بها إلى محطة السيدة زينب.

مئات من الناس يتسابقون إلى أي كرسي خالٍ في أتوبيس أو ميكروباص. أبتعد عن المحطة، فربما أجد وسيلة مواصلات بعيدًا عن هذا التزاحم المرير.

أقفز إلى أتوبيس، لمحت على لافتته السيدة زينب، فأخذني في مسار متعرج لم أعرفه من قبل حتى وجدت نفسي أمام مسجد السيدة زينب.

أبواق السيارات ونداءات الباعة وتدافع البشر يحاصر المسجد.

أعبر البوابة الكبيرة، فتتلقفني رائحة البخور وخفة الضوء ولطف حرارة الجو. أتجه إلى عمود ضخم في ركن بعيد، لأستند إليه وأضع بجانبي حقيبة أوراقي والجاكت الذي لا أدري لم أحضرته.

تهدأ أنفاسي وأسكن رويدًا رويدًا. أغمض عيني فيغمر شذى المسك روحي ويأخذني في صلاة لا أعلم كم امتدت، لكني أعلم أنني نهضت بعدها خفيفًا راضيًا وأخذت طريقي نشطًا إلى خارج المسجد، وسرت إلى محطة مترو السيدة زينب لا أنظر إلى أحد ولا إلى شيء.

أظهرت تذكرتي ونزلت إلى الرصيف. رغم أن المترو كان يبدأ رحلته من جديد من هذه المحطة، لكنه كان مزدحمًا للغاية. أوجدت لنفسي بصعوبة مكانًا يمكنني فيه أن أحتفظ بتوازني ممسكًا بالعمود المواجه للباب، إلا أن همي الأكبر كان الإمساك بحقيبتي بقوة، فمن دونها تختفي آثاري من كل السجلات ولا أستطيع إثبات أي شيء يتعلق بهويتي أو دراستي أو عملي أو ممتلكاتي.

يرتج المترو، فيميل جسدي إلى جهة مجموعة يبدو أنهم من شباب الجامعة إلى يسار العمود، ويرتج ثانية، فأجد نفسي وسط مجموعة يبدو أن العمل في إحدى الوزارات يجمعهم. ارتج عقلي وأنا أسمع التعليقات عن نفس الحدث الذي يشغل الناس جميعًا هذه الأيام، فإذا بأذني اليمنى تسمع تعليقات هي العكس تمامًا مما تسمعه أذني اليسرى.

في محطة سعد زغلول، غادرت مجموعة الموظفين، وفي محطة التحرير غادرت مجموعة الشباب. تخلخل الزحام واستطعت أن أتحرك قليلًا واتخذت مكانًا بجوار أحد المقاعد، قدَّرت أن شاغلها سيغادر في محطة الشهداء لأن حقيبة سفر كانت بجواره، وما زالت محطة نزولي في المرج بعيدة.

جلست فخورًا بتكتيكاتي الرابحة، عندما قام صاحب حقيبة السفر بعد محطة جمال عبد الناصر للاستعداد للنزول.

لم أكد أستقر في مقعدي، حتى التقت عيني بعيني شاب يقف خلف المقعد المواجه لي. لا أدري ماذا جذبني إليه وماذا جذبه لي، فقد امتدت النظرة بيننا طويلًا. هل هي نظارته الطبية المميزة التي تشبه النظارة التي حرصت على استخدامها لسنوات طويلة وكنت أبدلها بواحدة أخرى لها نفس الشكل كلما احتجت لتغييرها؟ ربما. لكن لماذا ينظر هو لي بهذا التفحص رغم أنني لم أعد أرتدي تلك النظارة؟

فجأة التف حوله مجموعة من الأشخاص مفتولي العضلات. تابعت الموقف بارتباك، وكان آخر ما رأيته منه، نظرة متسائلة فيها ألم وعتاب ونداء وهم يدفعونه إلى الرصيف عند وقوف المترو في المحطة.

نظرت من الشباك أحاول تتبعه، لكن زحام الرصيف احتل المشهد كله. تتنقل عيني بين مقاعد المترو وسقفه وإعلانات

رصيف المحطة والساعة الضخمة المُعلقة على جداره.هربت ببصري إلى ساعتي. فوجئت أنها متوقفة. قلت فلأضبطها على ساعة المحطة. أخذت في فكها وأنا أحسها تضيق على معصمي. أحاول أكثر وهي تزداد ضغطًا وإيلامًا لي. شددتها بغيظ، فتمزق الأوستيك. زفرت بشدة أحاول أن أستعيد هدوئي. زفيييير زفيييير طويل. آه.

عندما هاتفني ليخبرني أن عليّ الذهاب للقائه، حاولت التهرب مدعيًا أنني مشغول، لكن لهجته الهادئة الحاسمة لم تترك لي مجالًا لمزيد من التنصل.

- سأنتظرك بعد غد في محطة المرج.

اسمه كان يتردد كثيرًا في منزلنا مصحوبًا بصفات الإجلال والاحترام. أذكر جدي رحمه الله وهو يتحدث عنه قائلًا: يصعب أن تجد من تجتمع فيه صفات العدل والنزاهة والشرف والالتزام بالواجب مثله.

لم أقابله بشكل شخصي، رغم زياراته بين الحين والآخر لبيت جدي وبيت أخوالي. لم يكن مسموحًا لنا نحن الصغار أن نتواجد في حضرته، مما أوجد أحيانًا فضولًا للقائه، لكن هيبته ومكانته وأدت ذلك الفضول، فلم أسعَ له من قبل أبدًا.

سألته: لكن كيف سأعرف حضرتك في زحام المحطة؟

ضحك ضحكة مقتضبة وقال: لا تقلق. أنا سأعرفك. ثم أردف:

- عندما تأتي ستعرف سبب اتصالي بك، لكن أريد أن تُحضر معك أي أوراق تخصك مهما بدت غير هامة.

وجدت يدي تقبض بقوة على حقيبة أوراقي.

التفت إلى الرصيف فوجدت لافتة محطة الدمرداش تتراجع للخلف، وتسلل عطر خفيف رقيق إلى أنفي.

فستان بسيط أنيق تتماوج خطوطه الوردية والبيضاء يغطي الركبتين بالكاد، في وسطه حزام من نفس الألوان، وعلى الكتف تتدلى حقيبة بيضاء. يد جميلة هشة البنيان دقيقة الأظافر. شعر قصير فاحم السواد وعنق رشيق وعيون دافئة وشفتان بهما ابتسامة تشع رقة.

هززت رأسي بقوة لأخرج من محيط جاذبيتها، فانتبهت لشاب فارع الطول يقف بجوارها ويحادثها وعيناها تجيبه. يلبس بدلة زرقاء اللون ويرتدي رابطة عنق حمراء. وسامة تكللها نظارة طبية وشارب يضفي عليه ملامح نضج وثقة.

- بابا. أنا تعبت.

مدت الصغيرة ذات الضفيرتين والفستان الأصفر القصير ذراعيها، فحملها الأب الوسيم ومدت الأم الجميلة يدها وداعبت شعر ابنتها بحنان، أما ذراعها الأخرى فقد احتضنها ابنها المشرق بالذكاء الذي تشبه عيناه عينيها تمامًا.

أغمضت عيني واستغرقت في نبضات قلبي التي كانت تدوي، ورعشاتي التي أشعرتني ببرودة شديدة، فنهضت لألبس الجاكت وحمدت الله أنني أحضرته معي.

لا أعتقد أنني غفوت، لكني لم أكن مستيقظًا. غبت في مكان ما، وحزن قلبي عندما أخذت في التلفت بحثًا عن الأسرة الجميلة، فلم أجد أحدًا، وإذا بالسماء الزرقاء قد تحولت إلى سحب رمادية كثيفة وتوالى وميض البرق وأصوات الرعد.

هبت ريح باردة وقطرات ماء سريعة بسرعة انطلاق المترو، فبادر الجالسون بجوار النوافذ إلى إغلاقها وأخذت في إحكام الجاكت حول جسدي وقد أدركت أن توقعات الطقس بهذه التقلبات العنيفة الغريبة كانت في محلها تمامًا.

لم يعد لي هم إلا تدفئة نفسي ودفع البرودة التي تهاجمني. أنفخ كفي وأفركهما. أدبدب بساقي. أضم حقيبتي إلى صدري.

أمعنت النظر خلال زجاج النافذة المُغبَّش بماء المطر، لأرى لافتة المحطة التي يقف عندها المترو، وعندما وجدت أنها عين شمس، قلت لنفسي لقد قاربت على الوصول لمحطة المرج المنشودة.

صعد متكئًا على عصاه، ويجر قدميه بصعوبة. تعبت نظراته الحائرة بحثًا عن مقعد يستند إليه وينقذه من رجرجة المترو التي لا ترحم جسده الضعيف.

لم يعد المترو مزدحمًا، لكن لم تكن هناك مقاعد خالية. أشرت إليه أن يأتي ليجلس مكاني، فعلت وجهه ابتسامة امتنان منكسرة، وكاد أن يقع مرتين قبل أن يصل إلى الكرسي، لولا أن ذراع الشاب الذي كان مستندًا إلى الباب أنقذته من السقوط.

أجلسته مكاني، ووقفت إلى جواره، فوجدته يمد يده لي ويعطيني عصاه التي يتكئ عليها. شكرته قائلًا إنني لا أحتاجها، فهز رأسه بهدوء كأنه يفكر في شيء ما. في اللحظة نفسها ارتج المترو رجة عنيفة كدت أن أقع على إثرها، لولا تمسكي بتلك العصا، فنظرت له ممتنًّا ونظر لي طويلًا وزمّ شفتيه كأنه يقول لي، ألم أقل لك!

توقف المترو تمامًا وفتح أبوابه من الجانبين. عرفت أننا وصلنا إلى محطة المرج، آخر الخط.

أردت أن أعيد العصا لصاحبها، لكني لم أجده، فخرجت إلى الرصيف وهي في يدي تتوالى نقراتها المنتظمة مع خطواتي وحقيبة أوراقي تتأرجح كالبندول مع حركة ذراعي.

وقفت أتطلع. أنتظر أن ألقاه. مرت دقائق توقف خلالها المطر وعادت الشمس لتحتل السماء وأشرقت أنوارها بعد الغيام الكئيب.

لاح طيف قادم من بعيد. فارع الطول متين البنيان أشيب الشعر وقور ثابت الخطوات. يسير بهدوء. كنت متأكدًا أنه هو رغم كثرة القادمين لركوب المترو في رحلته القادمة.

اقترب مني وبدأت أرى ملامحه التي تجمع بين الود والجدية.

مد يده ليصافحني، فمددت له يدي. سلَّم علي بحرارة وعينه تتنقل بين وجهي وحقيبة أوراقي.

في اللحظة ذاتها أطلق المترو صافرته عالية وهو يغادر المحطة.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

للمؤلف قدرة كبيرة على التقاط التفاصيل.. وتحويل المألوف إلى نص إبداعي

هي قصص شديدة الصدق، مكتوبة بمهارة وتمكن كبيرين. يأخذنا الكاتب في جولات من الأفكار المختلفة، يطوف بنا في أرجاء المدينة المزدحمة، وعبر الشوارع، وحتى داخل البيوت. بعض القصص شديد الواقعية، وبعضها رومانسي حالم، وأيضا هناك الغرائبي دون أن يقدم -الكاتب- تفسيرًا لما يحدث، ويتركه للقارئ كي يفسره كما يريد. قصص تدفعنا للابتسام أحيانا، وقصص تجعلنا نشرد بخيالنا ونفكر قبل أن نطوي الصفحة، وربما نعيد قراءتها من جديد، وقصص تدفع أعيننا لأن تدمع، وربما نبكي.

تناول لأحداث تبدو بسيطة، وحكايات ربما نكون قد مررنا بمثلها، وتفاصيل كأنما التقطها الكاتب بكاميرا شديدة الرهافة والدقة. نوستالجيا وحنين لماضٍ جميل، ورؤية صادقة لواقع نعيشه، وأحلام متلألئة لغد؛ نتمناه أجمل.

محمود الشنواني: طبيب أطفال تخرج في كلية طب القاهرة عام 1981، له كتابات عديدة غير منشورة، بينها قصص قصيرة ومقالات ثقافية وسياسية، صدر له كتاب فى أدب الرحلات هو "أهلا بكين" وكتاب "ثلاثون عامًا في صحبة نجيب محفوظ" عن دار صفصافة للنشر.

Cover design by: Alaa Elnewehy

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

ISBN 978-977-821-252-5